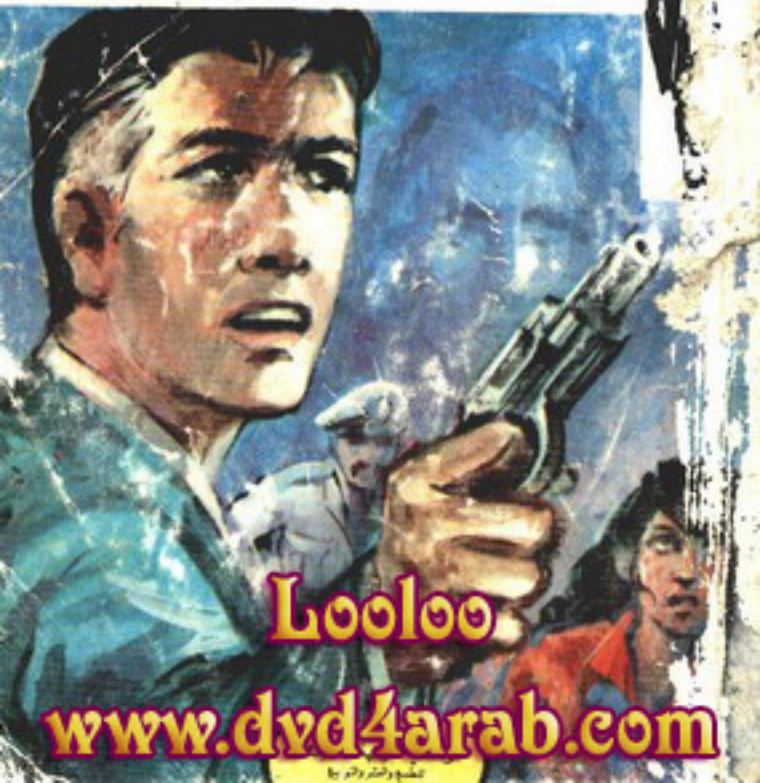


روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

ضد القانون

٧١



Looloo

www.dvd4arab.com

تصميم و النشر لولوو

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة الخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - الهاوية ..

امتلاأت نفس (أدهم صبرى) بمزيج من الخنق والضجر والملل ، وهو يراجع بعض التقارير السريّة في مكتبه ، فى إدارة الخابرات العامة المصريّة ، فزفر فى غمق ، وهو يُزيح التقارير جانباً ، ويفغمم فى لهجة تجمع ما بين السخرية والمرارة :

— ياله من عمل !! .. سأنصح كل من يتغى الشيخوخة المبكرة بمزاولة تلك الأعمال المكتيبة المضجرة .

نهض من خلف مكتبه ، ومطّ شفتيه فى سخط ، وهو يتجه نحو نافذة حجرته ، ويتطلّع منها إلى إبناء مبنى الخابرات ، الذى بدا له لأوّل مرّة ، كتيباً ، خاملاً ، على عكس ذلك النشاط الجمّ ، الذى تموج به أروقة المبنى الداخلية ، وكشف لدهشته أنها أوّل مرّة ، منذ التحق بالخابرات العامة ، يتطلّع فيها إلى إبناء المبنى على هذا النحو ، وبكل ذلك التركيز ..

وبينما هو يسبح مع أفكاره وذكرياته ، سمع صوت طرقات هادئة على باب حجرته ، فقال دون أن يبعد بصره عن النافذة :

— ادخل يا من بالباب .

سمع من خلفه صوت الباب يُفتح في هدوء ، ثم صوت
أقدام تخطو داخل مكتبه في إيقاع منتظم ثقيل ، فابتسم وهو
يقول :

— كيف حالك يا (قدرى) ؟

ارتفعت من خلفه ضحكة مرحة مجلجلة ، أعقبها صوت

(قدرى) ، وهو يقول :

— كيف حالك أنت يا صديقي ..؟ من الواضح أن شهرًا
من الأعمال المكتبية لم يفقدك حاستك الرائعة بَعْدُ .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يتلصق إلى
(قدرى) ، قائلاً :

— ليس حتى الآن ، ولكنني أخشى أن أنافسك بدانةً ،
إذا ما استمر الحال هكذا لعام واحد .

ألقى (قدرى) جسده البدني فوق أقرب المقاعد إليه ،
وهو يقول :

— لست أظن ذلك يا صديقي ، فمن المستحيل أن يكون
قرارهم بنقلك إلى الأعمال الإدارية دائمًا .. إنه على الأرجح

عقاب مؤقت تخالفتك الأوامر ، في عملية (أوكونور)^(*)

(*) راجع قصة (أباطرة الشر) .. المغامرة رقم (٧٠) .

زفر (أدهم) في ضيق ، وهو يقول :

— أخشى ألا يجدوا منى نفعًا ، إذا ما أعادوني إلى قطاع
العمليات الخارجية ، بعد أن يصاب جسدي بالترهل ، من
جِراء الأعمال المكتبية .

هتف (قدرى) في استكثار :

— ماذا أصابك يا صديقي ؟ .. إنني لم أعهدك يومًا بمثل
هذا اليأس والإحباط !! .. أؤكد لك أن عودتك إلى قطاع
العمليات الخارجية لن تستغرق طويلًا ، فمن المستحيل أن
تتخلى الإدارة عن مهارتك وقدراتك غير العادية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— أتعثم ذلك يا صديقي البدني ، وألا فسأنتقم
باستقالتى بعد شهر آخر على الأكثر .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الداخلى
لمكتبه ، فالتقط سماعته ، ووضعها على أذنه ، مغمغماً :

— (أدهم صبرى) .. من المتحدث ؟

تألفت عيناه فجأة ببريق حماسي ، واستعاد جسده كل
حيويته ونشاطه ، وهو يُزِدِف :

— سأحضر على الفور يا سيدي .

ثم أعاد السماعة إلى موضعها ، وعمهلت أساريره ، وهو
يقول لـ (قدرى) :

— لماذا استدعيتي إذن يا سيدي ؟
 تهُد مدير الاخبارات ، وأشاح بوجهه ، وهو يغمغم في
 خُفوت :
 — إنه أمر يتعلق بشقيقك يا (أدهم) .. الدكتور (أحمد
 صبرى) .
 فتَحَدت العبارة كل حواس (أدهم) دفعة واحدة ،
 وملأت نفسه بالقلق ، فسأل المدير في انفعال :
 — ماذا أصابه ؟ .. هل ؟
 قاطعه مدير الاخبارات في سرعة :
 — اطمئن .. إنه في خير حال ، ولم يُصَبْ بخدش واحد .
 هتف (أدهم) في جِدَّة :
 — ماذا به إذن ؟
 تردَّد مدير الاخبارات ، ثم أجاب :
 — لقد وصل صباح اليوم إلى (القاهرة) .
 لم يكن ذلك الجواب يكفى (أدهم) بالتأكيد ، فهو يعلم
 جيِّداً أن عودة شقيقه — في حدِّ ذاتها — لا تكفى لأن يستدعيه
 مدير الاخبارات على هذا النحو ، فسأل في توتر :
 — وما علاقة حضوره إلى (القاهرة) باستدعائي ؟
 تردَّد مدير الاخبارات لحظة أخرى ، ثم حسم أمره ، وأجاب :

— يبدو أن عبارتك الأخيرة كانت بمثابة نبوءة يا صديقي
 البدين .. إن المدير يطلبني في مكتبه على الفور .
 تهللت أسارير (قدرى) ، وهو يتف في فرح :
 — ألم أقل لك ؟ .. إنهم لن يحتملوا طويلاً غياب (رجل
 المستحيل) عن الساحة .. ألم أقل لك ؟

 استقبل مدير الاخبارات (أدهم صبرى) بوجه متجهِّم ،
 وأشار إليه بالجلوس على المقعد المقابل لمكتبه ، فجلس
 (أدهم) مبتسماً ، وهو يُخفي انفعاله ، ولغفته لمعرفة سرِّ
 استدعائه ، حتى سأله المدير في خُفوت :
 — ما سرُّ استدعائي لك في رأيك يا (ن — ١) ؟
 هزَّ (أدهم) كتفيه ، على نحو يُوجي باللامبالاة ، وهو
 يقول في هدوء ، لا ينقل ما يستعير في أعماقه من نيران اللهفة :
 — أظن أنها عملية جديدة .
 أدهشه مدير الاخبارات ، حيناً عقد حاجبيه ، وهو يقول في
 صرامة :

— كلاً .. إنك لم تُعدْ تغدُ إلى قطاع العمليات الخارجية .
 كانت صدمة عنيقة لـ (أدهم) ، استقبلها قلبه بمزيج من
 الغضب والألم ، إلا أنها لم تنتقل أبداً إلى وجهه ، الذي ظلَّ
 جامداً ، وهو يقول في برود :

— لقد ألقى رجال الشرطة القبض على شقيقك
يا (أدهم) .

اتسعت عينا (أدهم) في دهشة ، وحذق في وجه مدير
المخابرات لحظة ، قبل أن يغمغم في ارتياح :

— ألقوا القبض عليه ؟!

أوما المدير برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— نعم يا (أدهم) .. بتهمة تهريب المخدرات إلى داخل

البلاد .

صاح (أدهم) في ذهول :

— ماذا ؟

وهب من مقعده ، مستطرداً في غضب :

— أي فراء هذا ؟.. ما صلة شقيقى بتهريب المخدرات ؟..

الجميع يعلمون أنه جراح عالمي ، حاز كل ما يحلم به المرء من

الشهرة والنجاح والثراء ، فلماذا ؟..... ؟

قاطعه المدير في صرامة :

— لست أدري شيئاً عن التفاصيل يا (أدهم) .. لقد

ألقى رجال مكافحة المخدرات القبض على شقيقك هذا

الصباح ، وهو يحمل حقيبة مملوءة بالهيروين النقي ، فاتصل بك

هاتفياً في مكتبى ، وكان واضح الانهيار ، و.....

قاطعه (أدهم) هذه المرة في انفعال :

— أين هو ؟

عقد المدير حاجبيه في ضيق ، وهو يقول :

— لقد نقلوه إلى إدارة مكافحة المخدرات ، في مديرية أمن

(القاهرة) .

هتف (أدهم) في جِدَّة :

— وهل ستركهم يلقونه في السجن ، من أجل تهمة

باطلة ؟

صاح به المدير في غضب :

— وماذا تتوقع منا أن نفعل ؟.. إنها قضية تخص رجال

الشرطة ، ولا شأن للمخابرات العامة بذلك ، و.....

انعقد حاجبا (أدهم) في غضب ، وهو يقاطعه :

— كما تشاء ياسيدى ، ولكنى لن أتخلى عن شقيقى في

هذه المحنة .

زفر المدير في جِدَّة ، وهو يقول :

— اسمع يا (أدهم) .. كل ما يمكنك أن تفعله ، هو أن

تجد له محامياً بارعاً ، وأن تترك الأمر بين يدي رجال الشرطة .

هز (أدهم) رأسه نفيًا في توكر ، وهو يقول :

٢ - الجَرِيمة ..

أطل مزيج من اللهفة والمرارة من عيني الذكور (أحمد صبرى) ، حينما رأى شقيقه (أدهم) أمامه ، فى مديرية أمن (القاهرة) ، واندفع يعانقه ، وهو يهتف فى صوت أقرب إلى البكاء :

— (أدهم) ؟ حمدًا لله !! عشت أن يذهبوا إلى السجن قبل أن أراك .

رئت (أدهم) على كنف شقيقه الوحيد ، وهو يقول فى هدوء :

— اهدأ يا (أحمد) ، وأخبرنى كيف حدث كل هذا ؟
جلس (أحمد) أمام شقيقه ، وقال وهو يرتجف من الانفعال :

— لقد حصلت على إجازة طويلة ، من عمل
بـ (السويد) ، وقررت أن أفاجئك بحضورى إلى
(القاهرة) ، دون موعد سابق ، وقيل سفرى ، أعطانى أحد

— أريد الحصول على إجازة طويلة ياسيدى .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول محذراً :

— خذار أن تتدخل فى سِر القضية يا (أدهم) ، فلن

يمكننا حمايتك ، لو أنك خالفت القانون .

قال (أدهم) فى حزم :

— الإجازة ياسيدى .

أجابه المدير فى حزم غاضباً :

— فليكن يا (أدهم) .. سأمنحك إجازة طويلة ، ولكن

خذار أن تُقدم على أى تصرف يخالف قوانين الدولة ،

والأ

قاطعه (أدهم) ، وهو يتجه نحو الباب ، قائلاً فى حزم :

— إلى اللقاء ياسيدى ..

تطلع إليه المدير فى دهشة ، قبل أن يُردف (أدهم) فى

صرامة :

— أو وداغاً .. أيما يحلوا لك .

وأغلق الباب خلفه فى غُف ..

أطباء المستشفى ، ويدعى (هانز فير) ، حقية صغيرة ، طلب
منى توصيلها إلى صديق له في (القاهرة) ، فحملتها مع
حقيتي إلى هنا ، دون أن يخطر ببالي فتحها لمعرفة محتوياتها ،
وفي مطار (القاهرة) ، فوجت بهم يلقون القبض على ،
ويكشفون وجود المبرورين في الحقية .

سأله (أدهم) في اهتمام :

— وما اسم ذلك الصديق ، الذي كنت سعطيه الحقية

هنا ؟

أجابته (أحمد) في مرارة :

— إنه مصري .. رجل أعمال يدعى (مراد غالب) .

التفت (أدهم) إلى رائد الشرطة ، الذي يحضر اللقاء ،

وسأله في اهتمام :

— هل استجوبتم (مراد غالب) هذا ؟

أوماً الرائد برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. ولكنه ينكر أية علاقة له بالأمر ، ولا يوجد دليل

واحد يدينه .

هتف (أدهم) في عصبية :

— ماذا تعني بأنه لا يوجد دليل واحد يدينه ؟ .. هل

مستقون تبعية الأمر كله على شقيقي ؟

قلب الرائد كفيه ، وهو يقول :

— هذا ما يحدث في كل الحالات المشابهة ، فالقانون يقول

إن حامل المخدرات هو المُدان ذُوماً ، حتى ولو أنكروا معرفته

بحملها .

قال (أدهم) في حنق :

— وصاحبها بريء ، مادام ينكر صلته بها ؟!

هز الرائد كفيه ، وهو يقول :

— إنه القانون .

أطرق (أحمد) برأسه في يأس ، وهو يفهم في مرارة :

— نعم يا (أدهم) .. إنه القانون .. لقد وقعت في الفخ ،

ولا فكاك لي منه أبداً .

نهض (أدهم) ، وهو يجيبه في صرامة غاضبة :

— ليس بقُد .

غمغم رائد الشرطة في أسف :

— ليس هناك ما يمكن عمله ، فكلنا نعلم أنه بريء ،

ولكن القانون

قاطعه (أدهم) في حزم :

— أى قانون أيها الرائد ؟. إن الأوغاد من أمثال (مراد

غالب) يتعاملون بقانون آخر .



لم تستطع (منى) إخفاء دهشتها ، وهي تستقبل (أدهم) في منزلها ،
قبل منتصف تلك الليلة بدقائق ..

وانعقد حاجباه في صرامة مخيفة ، وهو يردد :
— قانون الغابة ..

لم تستطع (منى) إخفاء دهشتها ، وهي تستقبل (أدهم)
في منزلها ، قبل منتصف تلك الليلة بدقائق ، حتى أنها هفتت
به ، وهي تقوده إلى حجرة الجلوس ، أمام نظرات والديها
القلقة :

— يا لها من مفاجأة !.. لماذا لم تخبرني هاتفياً أنك؟
قاطعها في حزم ، وهو يفتح باب حجرة الجلوس خلفها :
— إنسى أحتاج إلى معاونتك ، في مهمة جديدة
يا (منى) .

هفتت في دهشة تمتزج بالفرح :
— هل أعادوك إلى قطاع العمليات الخارجية يا (أدهم) ؟
أجابها في صرامة :
— ليس بعد .. إنها مهمة خاصة .
جلست ، وهي تغتم في قلق ودهشة :
— مهمة خاصة ؟!.. ما الذي تقصده بذلك ؟
قصر عليها ، في كلمات موجزة ، ما حدث في الصباح ،
لهفتت في ارتياح :

— مخدرات ؟ .. إنها تهممة ملفقة بالتأكيد .

أجابها ، وهو يدور داخل الحجره كالليث الغاضب :

— لقد قضيت بهارى كله أجمع أكبر قدر من المعلومات عن (مراد غالب) هذا ، ولقد توصلت إلى أنه رجل أعمال مرئوق ، يمتلك عدة شركات للمقاولات والتصنيع ، ونفوذاً ضخماً فى بعض الأوساط الإجتماعية والسياسية ، على الرغم من عدم انتمائه الفعلى إليها ، ثم إن ملفه نظيف تماماً ، ولا توجد به ثغرة واحدة ، يمكن التفاض بواسطتها إليه ، من الناحية القانونية .

سألته فى توأمر :

— ماذا تنوى أن تفعل إذن ؟

بدت لها لهجته مخيفة ، وهو يجيب فى صرامة :

— لن نترك هذا الوعد حراً يا (منى) .. مستقاتله ، ونوقع به .

هتفت فى قلق :

— ولكن هذا من صميم عمل الشرطة يا (أدهم) ، ولسنا نملك الصلاحية لـ

قاطعها فى غضب :

— سنوقع بذلك الرجل يا (منى) ، وسأعمل على تحطيمه تماماً بإذن الله ، حتى ولو انتهجت فى ذلك منهجاً خاصاً .

واكتسى صوته بمزيج من الغضب والصرامة ، وهو يستطرد :

— وحتى لو عملت ضد القانون ..



٣- الإمبراطور ..

الباطنية ..

حى من أحياء (القاهرة) ، يحفظه كل رجل من رجال
شرطة مكافحة المخدرات ، عن ظهر قلب ..

حى حاجته قوات الشرطة مئات المرات ، وحاصرته آلاف
المرات ، إلا أنه - وعلى الرغم من ذلك - مازال بؤرة تجارة
وترويج المخدرات ، فى (مصر) كلها ..

لقد شن رجال مكافحة المخدرات مئات الحملات
المكثفة ، على ذلك الحى ، أسفرت معظمها عن الإيقاع ببعض
صغار مُروجى المخدرات ، دون أن تسفر أى منها عن الإيقاع
بواحد من أباطرة تجارة السموم ، الذين يخفون ذؤماً خلف
ستار فولاذى من السرىة ، والسطوة ، والقوة ..

فى ذلك الحى ، توقفت سيارة (أدهم صبرى)
الصغيرة ، فى العاشرة صباحاً ، حيث تبلغ الحركة التجارية
ذروتها ، وهبط هو منها فى خلته الأنيقة ، ووسامته اللافتة

للأنظار ، وهبطت خلفه (منى) ، فى ثوب أزرق رائع ،
ومنظار شمس أنيق ، منحاهما مظهرًا يجمع ما بين الفسحة
والغموض ..

وكان من الطبيعي أن تتجه أنظار الجميع إلى (أدهم)
و (منى) ، على الرغم من اعتياد الحى استقبال الزوار
الجُدد ، فى فترات متقاربة ، ممن يبحثون عن متعة زائفة ،
تمنعها تلك السموم المخدرة ..

وتحرّكت عيون مراقبى شبكة المخدرات الرهيبية ، مع
خطوات (أدهم) و (منى) ، وهما يتجهان نحو متجر
صغير ، وقف صاحبه الشاب يتظاهر بالهدوء واللامبالاة ،
وهو يجلس النظر إلى القادمين ، فى خدرٍ وشك ، حتى توقف
(أدهم) أمام متجره ، وألقى أمامه رزمة من الأوراق المالية ،
وهو يقول فى برود :

— أريد جرامين من المسحوق النقى .

خدجه الشاب بنظرة باردة ، وهو يقول :

— أى مسحوق ؟ .. إن منجى لا يحوى — كما ترى —

سوى السجائر ائحلية الصنع ، و

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

— اذهب إذن خلف ذلك الشاب ، الذى كان يقف أمام متجرك منذ لحظات ، والذى حمل حقيبتك وابتعد فى سرعة ، فور رؤيتنا تقترب ، وأحضر من حقيبتك جرامين .

ابتسم الشاب فى سخرية ، وهو يقول :

— أى شاب ؟ .. إننى لم أر أى

قبل أن يتم عبارته ، امتدت يد (أدهم) بفتة نحو عنقه ، وانتزع فى قوة فولاذية إلى خارج متجره الصغير ، وحدق فى عينيه بعينين صارمتين قاسيتين ، وهو يقول فى غضب :

— اسمع أيها الوغد .. إننى لست من رجال الشرطة ، ولست أعمل لحسابهم ، واحتاج إلى هذا المسحوق اللعين الآن .

اتسعت عينا الشاب فى دُعر ، وتطلَّع إلى نقطة ما خلف (أدهم) فى هَلَع ، وسمع (أدهم) صوتًا غشيًا قاسيًا ، يأتي من خلفه ، قائلاً :

— لقد قال لك الرجل : إنه لا يعلم شيئًا عما تحدثت عنه ، اتركه إذن وانصرف فى سلام .

دفع (أدهم) الشاب إلى داخل متجره فى عنف ، ثم استدار إلى مصدر الصوت فى هدوء ، فطالعه أربعة وجوه

قاسية ، لرجال ضخام الجثة ، يحيطون به و بـ (منى) فى نصف دائرة ، ويحملون فى قبضاتهم خناجر حادَّة ضخمة ، ألقى عليها نظرة لامبالية ، قبل أن يقول لصاحب العبارة فى برود :
— وما شأنك أنت بالأمر ؟

أجابته الرجل فى غلظة ، وهو يتقدَّم نحوه فى غضب :
— يبدو أنك لست ممن يحسنون الفهم .. قلت لك انصرف ،

أو

وفجأة ، هوت قبضة (أدهم) على فك الرجل كالتقبلة ، وألقته ثلاثة أمتار كاملة إلى الوراء ، واتسعت عيون الجميع فى ذهول ، حينما تحرك (أدهم) فى حَفَّة وسرعة مذهلتين ، وركل الرجل الثانى فى معدته ، وهشم أنف الثالث بقبضته اليسرى ، ثم اندفعت قدمه اليسرى فى صدر الرابع كالصاعقة ..

وابتسمت (منى) فى هدوء ، وهى تتطلَّع إلى الجموع ، التى تراجعت فى دُعر ودهشة ، أمام ذلك المشهد الخيف المذهل ، بعد أن انتهت المعركة فى ثابنتين فقط ، وهبَّت أجساد العمالقة الأربعة عند قدمى (أدهم) ، الذى أعاد خصلة نافرة من شعره إلى موضعها ، وعدل هندامه فى هدوء ، ثم استدار إلى صاحب المتجر الصغير ، قائلاً فى صرامة :

— والآن أريد جرامين من المسحوق اللّعين .

شُحِب وجه الشاب ، وهو يتراجع في دُغْر ، ويشير إلى شاب آخر ، ينزوى مع حقيقته في ركن بعيد ، فاقرب ذلك الشاب الآخر من (أدهم) في حُدْر ، وسط مسكون شامل ساد المكان ، وناوله ورقين صغيرتين مطويتين ، التقطهما (أدهم) من بين أصابعه ، وألقاهما في جيبه ، ثم صحب (منى) إلى حيث تنتظره السيّارة ، واستقلّها الاثنان ، ثم انطلقا خارج الحى ..

وظلّ الجميع صامتين مذهولين لحظات ، ثم تفجّر هرج مفاجئ ، واجتاح الانفصال ذلك الشاب ، صاحب المتجر الصغير ، وهو يصرع نحو الشاب الآخر ، ويتف به في توغر بالغ :

— أبلغ الزعيم بما حدث .. أبلغه على الفور .

وبات واضحاً من ذلك التوغر ، الذى ساد المكان ، أن (أدهم) قد يربح تلك الجولة ، وأنه قد بدأ الصراع ، وأثار غضب ودهشة تجار المخدرات في ذلك الحى ..

ولكن من يربح المعركة ؟

من ؟ ..

عقد (توفيق شاهين) ، تاجر مواد العطارة الشهير في (القاهرة) ، حاجيه في قلق وتوغر ، وهو يستمع إلى ما حدث ، وأخذ ينقر بأصابعه على سطح مكتبه في عصيّة ، قبل أن يسأل الشاب ، الذى نقل إليه القصة :

— هل حصلتم على رقم سيارته ؟

أوما الشاب برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم أيها الزعيم .. ها هو ذا

وناوله ورقة مطويّة ، التقطها في لهفة ، وقرأ الرقم المدوّن بها ، ثم رفع سّاعة هاتفه ، وطلب رقماً خاصاً ، وقال :

— اسمع يا (رشاد) .. سجّل هذا الرقم لديك ، وانطلق

على الفور إلى إدارة المرور ، وحاول أن تجمع كل المعلومات

الممكنة عن صاحب هذه السيارة .. كل المعلومات .

وأمله رقم السيّارة ، ثم أمسى المحادثة ، وشرد بصره

لحظات ، وهو ينقر بأصابعه على سطح مكتبه ، قبل أن يسأل

الشاب في توغر :

— هل حصل على ما طلب ، وانصرف على الفور ؟

أوما الشاب برأسه إيجاباً ، فازداد انعقاد حاجيه

(توفيق) ، وهو يغمغم في خيرة وتوغر :

— عجبا !! لو أنه أحد رجال الشرطة ، لألقى القبض عليكم على الفور ، في حالة تلبس ، ولكنه ، وعلى الرغم من العنف الذي لجأ إليه ، حصل على المسحوق ، وانصرف في سلام .. لماذا ؟

غمغم الشاب في تردّد :

— ربّما كان مجرد مُدبّن ، و

قاطعه (توفيق) في جِدّة غاضبة :

— صنة أيها الأحمق .. لا يوجد مُدبّن واحد في هذا العالم ، يمكنه أن يتحرّك بتلك القوّة ، أو السرعة والمهارة التي وصفتها .. أنت تعلم أن المخلّطات تستنزف قوَى المرء ، وتحيله إلى كُوَمة من العظام الهشّة ، وبقايا العضلات المتهاكّة .. كلّا .. إنه ليس مدمنا بالتأكيد .

ومطّ شفّيه ، وهو يستطرد في حتقّ :

— إن هذا الرجل يهدف إلى شيء آخر .. عجيب ومعقّد .

سأله الشاب في قلق :

— مثل ماذا ؟

هتف (توفيق) في جِدّة :

— ليس هذا من شأنك .. عُذ إلى الباطنية ، وقُل لهم أن يوقفوا كل شيء مؤقتا ، حتى نعلم ما الذي يهدف إليه ذلك الرجل .

أسرع الشاب بفادر المكان ، على حين ظلّ (توفيق) جالسا خلف مكتبه ، يفكّر في عمق ، قبل أن يغمغم في توتر ، وهو يلتقط سماعة هاتفه :

— هذا الأمر يحتاج إلى عقل جيّار .. يحتاج إلى الإمبراطور شخصيا .

هزّت (منى) كتفها في خيرة ، وهي تغمغم في شرود :

— الأمر يبدو لي عجيبا يا (أدهم) .. عجيبا بالفعل .

سألتها (أدهم) في هدوء ، وهو ينظف مسدّسه في عناية :

— ما الذي يبدو لك عجيبا يا عزيزتي ؟

اعتذلت ، وهي تقول في اهتمام :

— كل شيء .. الموقف كله يبدو لي عجيبا ، فحين لم نعد

العمل داخل (مصر) ، أو ضد مجرمين عاديين ، والمهمّة

بوليسية بحتة ، لا تتفق مع أساليبنا السابقة ، ثم إنني لست

أدرى ما الذي يهدف إليه من عملية (الباطنية) هذه ؟!

التقط بضع رصاصات ، وأخذ يحشو بها خزّانة مسدّسه ،

وهو يقول في هدوء :

— إنها عملية خاصة يا عزيزتي ، وهي لا تتفق بالفعل مع
أساليبنا ، أو طريقة عملنا ، ولكنني أحاول إدارتها على النحو
ذاته ، أما بالنسبة لما فعلناه في (الباطنية) ، فهو مجرد خطوة
إلحاحية خيرة الحصم وقلقه .

سألته (منى) في اهتمام :

— ماذا تعني ؟

ابتسم وهو يدفع خزانة المسدس في الفراغ الخاص بها ،
قائلًا :

— إن تجازة المخدرات ، في أي مكان في العالم ، تعتمد على
شبكة قوية ضخمة ، تتكون خيوطها من صفار الموزعين
والمرؤجين لتلك السموم ، وترتبط تلك الخيوط بعدد من
الزعماء ، الذين يديرون حركة التوزيع والترويج ، وهؤلاء
يرتبطون بدورهم بعدد أقل من المهربين ، ثم بعدد محدد من
الممولين ، الذين يتزعمهم في النهاية رجل واحد ، هو الحبل
الذي يجذب كل خيوط الشبكة .

غمغمت في شغف :

— مثل (المافيا) .

أوما برأسه في هدوء ، وهو يقول :

— تمامًا .. ومثل أية منظمة قوية .

ووضع مسدسه داخل جيب سترته الداخلي ، وهو
يُردف :

— وقول تلك المنظمات المعقدة لا يوقع — في العادة —

سوى بالصغار ، أو ببعض المهربين أو الممولين ، أما الإيقاع
بالرأس الكبير ، فيحتاج إلى أسلوب مختلف ، لا يعتمد على
القانون ، وإنما على الاحتيال والجرأة والقوة .

سألته في خيرة :

— وهل ستقودنا عملية (الباطنية) إلى الرأس الكبير ؟

هزّ كفيه ، وهو يقول :

— أتعشّم ذلك .

هتفت ، وقد تضاعفت خيرتها :

— كيف ؟

أجابها ، وهو يسترخي في مقعده في هدوء :

— إن موقفنا هناك سيثير غضبهم ودهشتهم وخيرتهم

يا (منى) ، وسيبدلون أقصى جهدهم لمعرفة من أنا ؟ .. ولماذا

فعلت ذلك ؟ .. وستضاعف دهشتهم ، حينما يعلمون أنني

لست أحد رجال الشرطة ، وعندما يصلون إلى ذروة خيرتهم

وتولّوهم ، نضرب نحن ضربتنا القادمة .

سأنته في خيرة :

— أية ضربة قادمة ؟

ابتسم وهو يُرْخِي جفنيه ، مغممًا في هدوء :

— لا تتسرعى يا عزيزتي .. ستعلمين كل شيء في موعده ..

في موعده تمامًا .

* * *

« أدهم صبرى) .. اسمه (أدهم صبرى) ؛ ..

نطق (رشاد) هذه العبارة في هدوء ، أمام زعيمه (توفيق شاهين) ، الذى عقد حاجبيه في شدة ، وهو يسأله في انفعال :

— أهو أحد رجال الشرطة ؟

هز (رشاد) رأسه نفيًا في هدوء ، وأجاب :

— كلاً .. إنه خرج الكلية الحربية ، وعمل في قوات

الصاعقة قبل وفي أثناء حرب أكتوبر ، ثم استقال من الجيش ، وعمل بالأعمال الحرة حتى الآن ، وهو كثير الأسفار ، ولكن لا أحد يعلم طبيعة مهنته ، حتى جيرانه ، ولا يوجد له أصدقاء معروفون .

رفع (توفيق) حاجبيه في خيرة ، وهو يغمم :

— تلك المعلومات تثير قلقي أكثر يا (رشاد) ، فالجزء

الأكبر من حياته ما زال غامضًا .

وافقه (رشاد) بإيماءة من رأسه ، وقال :

— هذا صحيح أيها الزعيم ، ولكنه لا يعمل في الشرطة

بالتأكيد ، وإلا عَلِمَ جيرانه ذلك .

تهد (توفيق) ، وغمم :

— حسنًا يا (رشاد) .. هذا يحتاج إلى استشارة الإمبراطور

شخصيًا .

ثم أدار ظهره لـ (رشاد) ، ورفع سَمَاعَةَ هاتفه ، وطلب

رقمًا خاصًا ، حَرَصَ على ألا يلمحه (رشاد) ، وانتظر

لحظات ، ثم قال في توأمر :

— لقد وصلنا كل المعلومات أيها الـ..... أقصد

ياسيدى .. إن الرجل يُدعى (أدهم صبرى) ، وهو

ليس

اتسعت عيناه بخفة ، وهو يستمع إلى الإمبراطور ، ثم عقد

حاجبيه ، وهو يغمم :

— ولكن ياسيدى .. أأنت ترغب في معرفة باقى

المعلومات ، أو

عادت الدهشة تملأ ملامحه لحظات ، واختلطت بخيرته
وتوتره ، وهو يفهمم :

— حسناً ياسيدى .. كما تأمر .. كما تأمر .

وأعاد سماعه الهاتف إلى موضعها ، ورفع عينيه إلى
(رشاد) في دهشة وخيرة ، فسأله هذا الأخير في قلق :

— ماذا هناك أيها الزعيم ؟

هز (توفيق) رأسه في خيرة ، هو يفهمم :

— لقد أصدر الإمبراطور أوامره ، فور سماعه اسم
الرجل ، ودون انتظار سماع باقي المعلومات ، وكأنه يعرفه
مُسبِقاً .

سأله (رشاد) في اهتمام :

— وماذا تقتضى أوامره أيها الزعيم ؟

تطلع إليه (توفيق) لحظة في خيرة ، ثم أجاب في خُفوت :

— لقد أمر بقتل الرجل .. بقتله على الفور .



وأعاد سماعه الهاتف إلى موضعها ، ورفع عينيه إلى (رشاد) في دهشة وخيرة ..

٤ — المفاجأة ..

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (أدهم) ، وهو
يختلس النظر غيّر نافذة منزله ، مغمغماً :

— لقد وصلوا .

هبت (منى) من مقعدها ، وأسرعت إليه ، وهي تهتف في
انفعال :

— كما توقّعت أنت تمامًا .

راقب — غيّر نافذته — تلك (المرسيدس) البيضاء
الحديثة ، التي تقف إلى جوار الرصيف المقابل لمنزله ، والتي
هبط منها خمسة رجال أشداء ، اتجهوا نحو المنزل ، وعقد
حاجبيه ، مغمغماً :

— عجبًا !! كنت أظنهم سيلجئون إلى مراقبتى فحسب ،
ولكن

بتر عبارته فجأة ، وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يبحث عن
تبرير لذلك الموقف غير المتوقع ، على حين سأله (منى) وهي
تخرج مسدسها الصغير من حقيبتها :

— هل تظن أنهم سيهاجرون ؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيبها في صوت خافت :

— لم يكن من المفترض أن يفعلوا بهذه السرعة ، ولكن
يبدو أن زعيمهم يرفض إضاعة الوقت لسبب ما .

ثم اعتدل ، مستطرذا في صوت صارم قوي :

— ويبدو أن الصدام المباشر سيبدأ أسرع مما كنت أتوقع ،
وعلى نحو مختلف يا (منى) .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة واثقة ، وهي تقول :

— فليكن .. سنلقنهم درسًا قاسيًا .

أردف هو في حماس :

— بإذن الله .

* * *

غادر الرجال الخمسة مصنع البناء في صمت ، وأشار
أحدهم إلى باب شقة (أدهم) ، فأسرع اثنان منهما يستلآن
مسدسيهما ، ويقفان على جانبي الباب ، ملتصقين بالحائط ،
على حين وقف ثالث يراقب سلم البناء ، وحزّص الرابع على
إبقاء المصنّعد في الطابق ، واتجه الخامس نحو باب شقة
(أدهم) ، وطرقه في هدوء ، وانتظر حتى يسمع صوت
(منى) من الداخل ، وهي تقول :

— من الباب ؟

أجابا في هدوء :

— رسالة مسجلة للأستاذ (أدهم صبرى) .

أتاه صوتها ، وهي تقول في لهجة أقرب إلى السخرية :

— حسنًا .. انتظر لحظة .

تناهى إلى مسامعه وقع قدميها ، وهي تقترب من الباب ، فأشار إلى رفاقه بالاستعداد لافتحام الشقة ، فور فتحها للباب ، وتحفز الجميع للهجوم ، ثم فُتح الباب دفعة واحدة ، واتسعت عينا الرجل في دُغر ودُهور ، حيناً رأى قُوْهة مسدس (منى) في وجهه تمامًا ، وسمع صوتها الساخر ، وهي تقول :

— مفاجأة .. أليس كذلك ؟

تحرك الرجلان ، اللذان يقفان حول الباب ، في عصبية ، لمفاجأة (منى) بهجوم مباغت ، إلا أن الجميع تسَمَّروا في أماكنهم ، حيناً أتاهم صوت (أدهم) من خلفهم ، وهو يقول ساخرًا :

— هل يرغب أحدكم في مغادرة العالم بهذه السرعة ؟

كانت مفاجأة حقيقية للرجال الخمسة ، الذين لم يتوقعوا

أبداً تلك المبادرة من خصمهم ، الذى انتظرهم في الطابق الذى يعلو شقته ، وهبط ليلاغتهم من الخلف ، فألقوا أسلحتهم على الفور ، ورفعوا أيديهم فوق رؤوسهم في استسلام ، وهو يهبط إليهم في هدوء ، قائلاً :

— إلى الداخل أيها السادة .. سأستضيفكم في منزلى

المواضع بعض الوقت .

سار الخمسة أمامه في استسلام إلى داخل شقته ، وأوقفهم هو أمامه ، وهو يصوب إليهم مسدسه في استتار ، على حين أعادت (منى) مسدسها إلى حقيبتها ، وهي تغلق الباب خلفهم في هدوء ، و (أدهم) يسألهم بلهجته الساخرة :

— والآن أيها الأوغاد ، من أرسلكم إلى هنا ؟ .. ولماذا ؟

أجابهم أحدهم في خشونة وغضب :

— احتفظ بأسئلتك لنفسك .. إنك لن تحصل منّا على

حرف واحد .. أبلغ الشرطة لو أردت ، ولكننا لن نجيب عن أسئلتك .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— هكذا ؟

وأدهشهم أن أعاد مسدسه إلى جيب بسترته في بساطة ،

وهو يستطرد ساخرًا :

— ما رأيكم إذن لو ألقيت الأسئلة ذاعها على نحو وُدِّي .
تبادل الرجال الخمسة نظرة سريعة ، وانفقوا على رأى
واحد ، ثم انقضوا كلهم دفعة واحدة على (أدهم) ..
انقضوا انقضاضة رجل واحد ..

* * *

لو أن الرجال الخمسة أدركوا حقيقة خصمهم ..

لو أنهم قرءوا تاريخه الحقيقى ..

لو أنهم علموا كيف قاتل عمالقة الخبايرات والإجرام فى
العالم ، وكيف هزمهم وحطَّم أئوئهم فى قارات العالم
الست ..

لو أنهم عرفوا أنه يحمل لقب (رجل المستحيل) ..

لو أنهم استوعبوا كل ذلك ، ما أغراهم تخليه عن سلاحه
أمامهم ، وما تصوَّروا أن كل قوته تكمن فى مسدس بحوى
تسع رصاصات ، ولأدركوا أن أطرافه الأربعة هى أسلحة أشدَّ
فكًا وقوة ..

ولقد أدركوا ..

لقد استقبل (أدهم) أوَّهم بلكمة ساحقة فى فكِّه ، أطارت
أربعا من أسنانه ، واستقبل الثانى بركلة صاعقة فى معدته ،

والثالث بأخرى فى أنفه مباشرة ، قبل أن يميل جانبًا ، مفاديا
لكمى الرابع والخامس ، ثم بيوى بمرفقه على مؤخرة عنق
الرابع ، ويقبض يمينه على شعر الخامس ، ويكيل له لكمة
كالقنبلة فى معدته ، ويلحقها بأخرى جعلت الرجل يتأوه فى ألم
وعذاب ، وهو يتصوَّر أن معدته قد تمزَّقت إزنا ..

ودارت حينها الخامس فى محجرهما ، وزاغ بصره من الألم
والرعب ، وهو يحدِّق فى أجساد رفاقه الأربعة ، الذين
طرحهم (أدهم) أرضًا ، وأفقدهم وعيهم فى لحظات ،
وارتجف جسده فرغًا ، حينما سمع (أدهم) يسأله فى صرامة :

— من سوء حظك أنك الوحيد ، الذى بقى واعيا أيا
الوغد ، وأنى ما زلت أنتظر جواب سؤالى .

غمغم الرجل فى ارتياح :

— لا يمكننى أن أخبرك .. لن

بتر عبارته ، وهو يتأوه فى ألم هائل ، حينما غاصت قبضة
(أدهم) مرَّة أخرى فى معدته ، ولهت من فرط الألم ، وهو
يحرف :

— لن يمكننى .. سيقتلونى لو أخبرتك بحرف واحد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يخرج مسدسه ، قائلاً :

— أتقصد هكذا ؟

جمحت عينا الرجل ، حتى كادنا نتفزان خارج رأسه في ارتياح ؛ حينها خفض (أدهم) قُوَّةَ مسدسه ، المزوَّد بكاتم للصوت ، وأطلق رصاصة نحو رأس أحد الرجال الأربعة ، الذين فقدوا وعيهم ، فاصطبغت بحجمة الرجل كلها بدماء متفجِّرة ، قبل أن يبيل (أدهم) قُوَّةَ مسدسه نحو الرجل ، الذي كاد الرُّغْب يقتله ، وهو يقول في صرامة :

— هل يُروق لك أن تلحق برفيقتك ؟

لوح الرجل بذراعيه في رُغْب ، وهو يتف :

— كلاً.. كلاً أرجوك.. سأخبرك بكل ما ترغب في معرفته .

ابتسمت (منى) في سخرية ، وهي تتطلَّع إلى الدماء ، التي لوثت رأس الرجل الفاقد الوغي ، والتي لم تكن سوى واحدة من الرصاصات الخداعية ، التي تستخدم في عالم السينما ، والتي تنفجر فور ارتطامها بأى جسم صلب ، وتلقى من داخلها بعض الأصباغ الشبيهة باللحم البشري ، وأدركت قُوَّة تأثيرها النفسى على الرجل ، الذي بدا وكأنه يتوسَّل ، وهو يُرِدِف في صوت أقرب إلى البكاء :

— ماذا تريد معرفته ؟.. قُل لي ..

سأله (أدهم) في صرامة :

— من أرسلكم إلى هنا ؟.. ولماذا ؟..

أجابه الرجل في انبهار :

— المعلم (رشاد) هو الذى أرسلنا إلى هنا ؛ لقتلك .

سأله (أدهم) :

— ومن هو (رشاد) هذا ؟

أجاب الرجل في مرارة :

— إنه صاحب ملهى ليلى في شارع الهرم .

حصل منه (أدهم) على عنوان الملهى ، ثم قال في برود ،

وهو يلجِّم الرجل في فكِّه :

— حسناً أيها الوغد .. لقد أجبت عن كل ما أردته منك .

ثم التفت إلى (منى) ، مستطرداً في حزم :

— أحكمى وثاق هؤلاء الأوغاد الخمسة يا (منى) ، وكمسى أفواههم ، وألقيهم داخل حجرة التوأم الإضافية ، حتى أعود إليك .

سألته في اهتمام :

— إلى أين ستذهب ؟

ابتسم في سخرية ، وهو يجيب :

— كيف تلقين مثل هذا السؤال يا زميلتى العزيزة ؟.. إنها

فرصة نادرة ؛ لرؤية كيف تدار الأمور .. في شارع الهرم .



وأدارت المعصم في حنكة وسرعة ومهارة ، لتلوي ذراع الرجل خلف

أوقف (أدهم) سيارته أمام ذلك الملهي الأنيق ، في شارع
المهرم ، واتجه نحو مدخله بخطوات ثابتة ، فاستوقفه رجل
ضخم الجثة ، وهو يقول في هدوء :

— لم يبدأ العمل بَعْدُ .. عُدْ في الثامنة مساءً .

أزاحه (أدهم) عن طريقه ، وهو يقول في سخرية :

— لا بأس .. ساعتي تشير إلى الثامنة .

جذبه الرجل في عنق ، وهو يقول في جدّة :

— هل تظن نفسك ظريفًا ؟ .. قُلْتُ لك

شهق الرجل في دهشة وألم ، وبتتر عبارته بغتة ، حينما

تحركت قبضة (أدهم) في سرعة ، وقبضت على معصمه ،

وأدارت المعصم في حنكة وسرعة ومهارة ، لتلوي ذراع

الرجل خلف ظهره ، قبل أن يدفعه (أدهم) أمامه إلى داخل

الملهي ، وهو يقول ، دون أن يفقد لهجته الساخرة :

— ألا تصدّقتي أيها الوغد .. حسنًا .. فلنحتكم إلى من

بالداخل .

لم يكذب (أدهم) يدلّف إلى الملهي ، وهو يدفع الرجل

الضخم أمامه ، حتى هبّ أربعة رجال من حول منضدة

صغيرة ، وحلّقوا في وجه (أدهم) في دهشة ودُعر ، وأسرع

أحدهم يختطف حقيبة متوسطة الحجم ، من فوق المنضدة ،

ويلقى بها جانبًا ، وهو يهتف :

— من أنت ؟ .. وكيف تجرؤ على اقتحام المكان هكذا ؟
دفع (أدهم) الرجل الضخم في عنق ، فارتطم بمنضدة
أخرى ، وسقط معها أرضا ، عل حين قال (أدهم) في
صرامة :

— أين ذلك الوغد (رشاد) ، صاحب وكر الرذيلة
هذا ؟

تبادل الرجال الأربعة نظرات قلقة ، ثم قال أحدهم في
عصية :

— ماذا تريد منه ؟

ارتسمت على شفتي (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو
يقول :

— لقد جئت لأسأله ماذا يريد هو مني ؟ .. إنسى
(أدهم) .. (أدهم صبرى) .

امتنع وجه أحد الرجال الأربعة ، امتقاغا شديدا ،
وتراجع في حركة حاذة ، وهو يهتف في صوت مختق :

— اقتلوه .. اقتلوا هذا الرجل ..

وفي سرعة مذهشة ، استل الثلاثة الآخرون مسدساتهم ،
وصوبوها نحو (أدهم) ، وأطلقوا النار ..

٥ — العملاق ..

انطلقت الرصاصات الثلاث في آن واحد .. نحو هدف
واحد ، ولكنها ارتدت كلها ، على هيئة دُهور رهيب ،
اكتشف الرجال الثلاثة ، الذين أطلقوها ، إذ تحرك الهدف في
سرعة مذهلة ، قبل أن تضغط سيّاباتهم أزودة مسدساتهم بجزء
من الثانية ، ومال جانبا ، ثم قفز فوق منضدة قريبة ، وبدأهم
كعملاق هائل ، وهو ينقضّ عليهم من أعلى ..

وبركلة قوية مُحكّمة من قدمه اليسرى ، أطاح (أدهم)
بمسدس أوّهم ، وواصلت قدمه طريقها في سرعة ومرونة ،
لتحطّم فكّ الرجل الثاني ، وتلقى به بعيدا ، قبل أن يهبط على
قدميه ، وسط الرجلين الآخرين ، اللذين تراجعوا في دُغر
ودُهور ، حينما قبض على معصميهما ، ثم لوى ذراعيهما في قوّة
هائلة ، وأجبرهما على التخلّي عن مسدسيهما ، وهزّى بقبضته
على مؤخرة عنق أحدهما ، ثم بالأخرى على معدة الثاني ، وأنبى
الصراع بلكمة ساحقة في أنف هذا الأخير ..

وتراجع (رشاد) في رُغب ، وهو يتف :
— ماذا تريد مني؟ .. ماذا تريد مني؟

قبض (أدهم) على سترة (رشاد) ، وجذبه إليه في عنف ،
وهو يقول في صرامة مخيفة :

— مَنْ أَمرك بالتخلُّص مني؟

ارتجف جسد (رشاد) من قمة رأسه حتى أخمص
قدميه ، وهو يتف في دُعر :

— إنك تتهمني زورًا .. لا أحد يريد التخلُّص منك ..
لا

وبتر عبارته فجأة ، وتألقت عيناه ، وهو يصرخ :

— اقله يا (ماهر) .. اقله ..

وفجأة ، أحاط ساعد قوي بعنق (أدهم) ، وانقضت
قبضة تحمل خنجرًا حادًا على ظهره ، نحو موضع القلب
تمامًا ..

* * *

تصوّر (رشاد) لحظة ، وهو يقفز مبتعدًا عن (أدهم) ،
أن خنجر حارسه الحاذق سينجح فيما فشل فيه الآخرون ،
وسيحترق قلب (أدهم) ، وينتهي تاريخه الحافل بالمعارك

والنضال ، ولكن قلبه هو كاد يتوقف من شدة الهلع
والدهول ، وعيناه هو كادت تنفجران من شدة جحوظهما
وذهوهما ، حينما رأى مرفق (أدهم) يندفع إلى الخلف في
سرعة مذهلة ، ويغوص في صدر حارسه الضخم ، ويحطم
أضلاعه بصوت مخيف مسموع ، قبل أن ينزلق جسد
(أدهم) كله من ساعد الحارس ، ويغوص إلى أسفل ، ويدور
حول نفسه ، في ثنائع مهيب ، بالغ السرعة ، حتى أن خنجر
الحارس لم يطعن سوى الهواء ، قبل أن يصرخ الحارس الضخم
في ألم ، ويلقى خنجره ، ويمسك صدره بقبضته في قوة ، وكأنما
يحاول إعادة أضلاعه اشطمة إلى موضعها ..

وبلكمة ساحقة ، حاسمة ، ألقى (أدهم) الحارس
الضخم بعيدًا ، واستدار يواجه (رشاد) ..

وتجمدت الدماء في عروق (رشاد) ، أمام تلك النظرة
الصارمة المخيفة ، التي أطلت من عيني (أدهم) ، ووجد
نفسه يخرّ ساجدًا على ركبتيه ، وهو يتف في مرارة وضراعة :

— الرُّجعة !!

أجبره (أدهم) على الوقوف بجذبة قوية ، وتطلّع إلى عينيه
مباشرة ، وهو يقول في مزيج من الصرامة والغضب :

— هل ستجيب عن سؤالى أم؟

قبل أن يتمُّ عبارته ، هتف (رشاد) فى ارتياح :

— (توفيق شاهين) .

— عقد (أدهم) حاجيه ، وهو يسأله فى جدَّة :

— من (توفيق شاهين) هذا ؟

هتف (رشاد) ، وهو يرتجف رعياً :

— تاجر عطاره بـ (الموسكى) .. إنه الزعيم .. وهو

الذى أمرنى بقتلك .. لقد كنت أنفذ الأوامر فحسب .

سأله (أدهم) فى صرامة :

— أين يقيم (توفيق) هذا ؟ .. وأين متجره ؟

لم يجيب (رشاد) ، وإنما تطلَّع فى هفة إلى شيء ما خلف

(أدهم) ، وهتف :

— النجدة !! إنه يريد أن يقتلنى .

دفعه (أدهم) بعيداً ، واستدار يُواجه من خلفه ، ولكنه

توقَّف بفتنة ، حينما وجد أمامه أحد ضباط الشرطة ، مع ثلاثة

من الجنود ، وسمع الضابط يقول فى جدَّة :

— من أنت ؟ .. ولماذا اقتحمت هذا المكان ؟

ولم يجيب (أدهم) بدوِّره عن هذا السؤال ، فقد دقَّ فى

رأسه فجأة جرس الخطر ..

إنه الآن يواجه رجال شرطة دولته ، وينتقل بمعركته إلى

نقطة جديدة ..

نقطة ضد القانون ..

لو أن هذا الموقف يواجه (أدهم) فى دولة أخرى ،

لما تردَّد فى مهاجمة رجال الشرطة ، وتحطيم أنوفهم ،

والسخرية منهم ، ولكن فى دولته الأمر يختلف ..

إن (أدهم صبرى) رجل يحترم دولته ويحبُّها ، ويفخر

بانتائه إليها ، ومثل هذا الرجل لا يقاتل أبداً شرطة دولته ،

مهما كانت الأسباب والدوافع .

ولكن استسلامه لم أياً قد يُفسد كل شيء ، ويحطِّم

عمله ، ويلقى شقيقه خلف قضبان السجن مدى الحياة ، أو

يسلم عنقه لحبل المشقة ، طبقاً لقانون محاربة تهريب

التخدرات ..

كل هذا دار فى عقل (أدهم) فى ثوانٍ معدودات ، قبل أن

تنصب قامته فى اعتداد ، ويقول لضابط الشرطة فى لهجة

صارمة :

— أحسنت بوصولك في الوقت المناسب أيها الرائد ..
ألقي القبض على هذا الرجل .

نقل الرائد عينيه بين وجهي (أدهم) و (رشاد) في
دهشة ، ثم هتف في خنق :

— من أنت ؟ .. وماذا يحدث هنا ؟

أجابه (أدهم) في حزم :

— أنا المقدم (أحمد صفوت) ، من إدارة مكافحة

المخدرات .

امتقع وجه (رشاد) في شدة ، وهو يغمغم في دُعر :

— مكافحة المخدرات !؟

وردّد رائد الشرطة العبارة ذاتها ، وهو يحدّق في وجه

(أدهم) بمزج من الدهشة والشك ، على حين استطرّد

(أدهم) :

— لقد فاجأت ذلك الوغد ورجاله ، وهم يُتمون صفقة

مخدرات ، ولكنهم حاولوا قتلي ، في أثناء إلقاء القبض عليهم .

ثم أشار إلى الحقبة الصغيرة ، الملقاة أرضاً ، مستطرّداً في

صرامة :

— ستجد المخدرات في هذه الحقبة ، وعليها بصمات

أصابع ذلك الوغد .

صاح (رشاد) في دُعر :

— إنه كاذب .. إنها ليست حقيتي .. إنها حقيقته هو ..

لقد أجبرني على وضع بصماتي عليها .

هتف به (أدهم) في لهجة صارمة :

— صنة أيها الوغد .. لقد وقعت ، ولا فائدة من محاولتك

التخلّص من جريمتهك .

لُوح (رشاد) بذراعيه في عصيّة ، وهو يصيح :

— صدقتي يا حضرة الضابط .. إنه كاذب .. إنني داخل

ملهأى الخاص ، وهو الذي اقتحم المكان .. لا تدعه

يخلدك .

عقد رائد الشرطة حاجبيه في توثر ، والنفت إلى (أدهم) ،

قائلًا في حزم :

— هل تسمح لي بالاطلاع على بطاقتك ياسيادة المقدم ؟

هزّ (أدهم) كتفيه في بساطة ، وهو يقول :

— لست أحملها الآن ، ولكنني سأحضرها لك على الفور .

ثم انجبه نحو هاتف الملهي ، وهو يستطرّد في هدوء :

— ستصل قبل أن يتبي ورجالك من تفتيش المكان ،

وضبط كل الممنوعات .

أجابه رائد الشرطة في صرامة :

— أنتعشتم ذلك يا سيادة المقدم ، وحتى تطلعي على بطاقتك ، لن أجزم أبداً بأيكما يعمل ضد القانون .

ارتفع رنين الهاتف في حجرة (قدرى) ، فالتقط سماعته ، وهو يقول في تراخ :
— من المتحدّث ؟

دبّ النشاط في جسده البدين فجأة ، حينما أناه صوت (أدهم) ، غيّر أسلاك الهاتف ، وهو يقول في جدّية :
— سيادة اللواء (قدرى) .. إنه أنا .. المقدم (أحمد صفوت) .

هتف به (قدرى) في اهتمام :

— ماذا هناك يا (أدهم) ؟ .. في آية مشكلة تورّطت هذه المرّة ؟

تجاهل (أدهم) السؤال تماماً ، وهو يقول في جدّية :

— نعم يا سيادة اللواء ، لقد ألقيت القبض على المدعو (رشاد) ، بتهمة الإتجار في المخدرات ، ولكن أحد رجال الشرطة يعوق الأمر ، ويصرّ على الاطلاع على بطاقتي ، ليتأكد من أنني أعمل في إدارة مكافحة المخدرات .

أدرك (قدرى) مغزى حديث (أدهم) على الفور ، فهتف في انفعال :

— لقد فهمت يا (أدهم) .. قلّ لي .. هل تحمل وجهك الحقيقي ، أم أنك متنكر ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— الحقيقي يا سيادة اللواء .. وأنا هنا ، في ذلك الملهي في شارع الهرم .

والقى إليه بالعنوان ، فأجابه (قدرى) :

— حسناً يا (أدهم) .. حاول أن تماطل ضابط الشرطة لساعة واحدة .

وأنبى المحادثة ، ثم أسرع نحو مكتبه ، وهو يردّد في حماس :
— هيا يا (قدرى) .. صحيح أنك لا تعلم إلى أي مدى تورّط (أدهم) في مهمته الخاصة ، ولكنك لن تتخلّى عنه أبداً ، وسيكون عليك أن تثبت أنك أبرع مزوّر في (مصر) .
وابتسم ، وهو يلتقط من درج مكتبه بطاقة خالية ، مردفاً :
— بل في العالم أجمع .

انهار (رشاد) تماماً فوق مقعده ، وامتلاً قلبه بالألم

والمراة ، وهو ينقل بصره بين (أدهم) ، الذى جلس هادئاً ،
متبسماً ، وبين ضابط الشرطة ، الذى انهمك فى فحص
المكان ، والحقية الممتلئة باختر الأبيض النقى ، قبل أن يتف
فى انفعال :

— يا إلهى !!.. إن هذه الحقية تحوى ما لا يقل عن عشرة
كيلوجرامات من تلك السموم ياسيادة المقدم .

هتف (رشاد) فى تخاذل :

— قلت لك إنها ليست حقيتى .

رمقه الضابط بنظرة صارمة ، وهو يقول :

— هذا الأمر لم يحسم بعد يا رجل .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطرداً فى حزم :

— أليس كذلك ياسيادة المقدم ،

تطلع (أدهم) إلى ساعته فى هدوء ، وهو يقول :

— لن يستغرق جسمه طويلاً أيها الرائد .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى تعالى صوت (قدرى) ، وهو
يدلف إلى الملهى ، قائلاً :

— إننى أبحث عن سيارة المقدم (أحمد صفوت)

اجتم (أدهم) فى ارتياح ، وهو يقول :

— هل أحضرت البطاقة ؟

أذى (قدرى) أمامه التحيّة العسكرية ، وهو يقول :

— نعم ياسيدى .. لقد أحضرتها .

أسرع رائد الشرطة إليه ، وهو يقول فى لهفة :

— أطلعنى عليها .

واخطف البطاقة ، وقرأ بيانها فى سرعة ، ثم ارتسم

الارتياح على مخيئه ، وهو يناولها لـ (أدهم) مغمضاً فى

احرام :

— معذرة ياسيادة المقدم .. كان من الضرورى أن

أناكد .

أجاب (أدهم) فى هدوء ، وهو يلتقط البطاقة ، ويلقيها فى

جيب سترته :

— لا بأس .. كنت تؤذى واجبك .

ثم نهض ، وهو يستطرد فى لهجة آمرة :

— تحذ هذا الوغد إلى مديرية الأمن ، وأغلق هذا الملهى .

هتف به الرائد فى دهشة :

— وأين ستذهب ياسيادة المقدم ؟

— ألقوا ألبتسم (أدهم) ، وتبادل نظرة سريعة مع (قدرى) ، قبل أن يقول فى حزم وهدوء :

— إن المهمة لم تنته بعد أيها الرائد .. إننا لم نوقع بالرأس الكبير .

وأدهشت لهجته الصارمة رائد الشرطة ، حينما أردف فى قوة :

— وسنوقع به .. بإذن الله .

ثم غادر الملهى مع (قدرى) فى محطّوات سريعة ..



واختطف البطاقة ، وقرأ أياها فى سرعة ، ثم ارتسم الارتفاع على مخيآه ،

وهو يناولها لـ (أدهم) ..

— ألقوا القبض عليه؟! يا إلهي!.. كيف؟

أجابه صاحب الصوت الصارم :

— لاتزعج هكذا .. لن يمكنكم إدانته ، فلم تكن هناك أوامر بإلقاء القبض عليه ، ولقد لجأ ذلك الرجل (أدهم صبرى) إلى تحدة شيطانية ليوقع به ، ولكن تحدته وحدها ستكفل لـ (رشاد) النجاة ، لأن الإيقاع به لم يتم بوسيلة قانونية سليمة ، ولكن المهم هو أنه من المحتمل أن يكون (رشاد) قد وصى بك ، وهذا يعني أن (أدهم صبرى) فى طريقه إليك الآن .

اكسى وجه (توفيق) كله بعرق الخوف ، وهو يفهم فى ارتياح :

— ومن هو (أدهم صبرى) هذا ياسيدى؟! .. أهو أحد رجال مكافحة المخدرات ؟

أجابه الصوت الصارم فى جردة :

— بل هو أكثر خطورة من ذلك أيها الغيى .. لو أنك تعلم ما أعلمه أنا عنه ، ما بقيت فى مكتبك لحظة واحدة .

ازدرد (توفيق) لأعباء الجفاف فى صعوبة ، وهو يفهم :

— ولكن متجربى نظيف ياسيدى .. ولن يجد به ذرة واحدة من المسحوق ، و

٦ — الزعيم الثانى ..

التقط (توفيق شاهين) سماعة هاتفه ، إثر رنينه ، ووضعها على أذنه ، قائلاً :

— هنا متاجر (شاهين) للعطارة .. لدينا كل

بتر عبارته فجأة ، وارتجف فى توغر ، حينما أتاه صوت صارم يقول :

— ذغك من هذا أيها الغيى .. إنه أنا ..

غمغم (توفيق) فى توغر :

— الإمبراطور؟! .. أقصد أهو أنت ياسيدى؟! .. إنه من النادر أن

قاطعه صاحب الصوت الصارم ، قائلاً :

— اسمعى يا (توفيق) .. لقد ألقى رجال الشرطة القبض على (رشاد) ، وهو يحمل حقيبة الهيروين .

اتسعت عيناه (توفيق) فى دُعر ، وتصبب عرق غزير على وجهه ، وهو يفهم فى ارتياح :

قاطعه الإمبراطور في غضب :

— أيها الغبي .. إن (أدهم صبرى) ليس رجل شرطة ، وهو لا يحتاج إلى أية أدلة ، ليحطم رأسك ، ويتزع لسانك من منبته ، ليجبرك على الاعتراف بكل ما تعلم .. إنه ضابط مخبرات .. أخطر ضابط مخبرات في العالم ، ولو أنه واصل دس أنفه في شئوننا ، فسيعنى هذا نهاية الشبكة كلها ، ما لم نتخلص منه أولاً .

جعلت الكلمات قلب (توفيق) يتفض في رُغب ، وهو يقول :

— يا إلهي !! .. سأغادر متجسري على الفور أينما الإمبراطور .. بل سأغادر (القاهرة) .. بل (مصر) كلها ، و

قاطعه صوت ساخر ، يقول في هدوء :

— جميل منك أن أوضحت .

سقطت السَّماعة من يد (توفيق) ، وامتنع وجهه المكتظ في شِدَّة ، وهو يحدق في رُغب في وجه الرجل الواقف أمامه في هدوء وسخرية ..

الرجل الذي يُدعى (أدهم صبرى) ..

أراد (توفيق) أن يقدِّم هاربًا ..

أراد أن يصرخ مستجداً ، أو يلتقط مسدسه من درج مكتبه ، ويُطلق رصاصاته على (أدهم) .. ولكنه لم يفعل هذا أو ذاك ..

شيء ما في نظرة (أدهم) الصارمة ، وابتسامته الساخرة ، جمده في مكانه ، وجمَّد الدماء في عروقه ، وأجبره على الجلوس مُسْتَمِرًا ، كمثل من الرخام ، حتى أصبح (أدهم) أمام مكتبه تمامًا ، وانحنى يتطلَّع إلى عينيه مباشرةً ، وهو يقول في سخرية صارمة ..

— هذا الذي خاطبته بلقب الإمبراطور ، هو زعيم شبكة السُّوم كلها .. أليس كذلك ؟

أوماً (توفيق) برأسه إيجابًا في دُهور ، ثم استعاد وعيه فجأةً ، فهتف :

— مَنْ أنت ؟ وماذا تريد مني ؟

جذبه (أدهم) من عنقه بغتةً ، وهو يقول :

— عجبًا !! .. كيف لا تعرفنى ، وقد أصدرت الأمر

بقتل .. إننى (أدهم صبرى) .

شَحَب وجهه (توفيق) ، وهو يغمغم في ارتياح :

— رجل المخبرات ؟!

جاء دور (أدهم) ، ليتطلع إلى (توفيق) في دهشة ، قبل أن يتعقد حاجباه في شدة ، وهو يجذب (توفيق) من عنقه في عنف ، قائلاً في صرامة مخيفة :

— مَنْ أخبرك أنني رجل مخبرات ؟

حاول (توفيق) أن يتملص في قوة ، وهو يتف :

— لا أحد .. إنني لم أقل ذلك .. لم

كان مضطراً لبر عبارته ، حينها هوت قبضة (أدهم) على فكّه ، وخطمت أسنانه ، وملأت فمه بالدماء ، فعاد يتف في ألم وذعر :

— ماذا تفعل ؟ .. إنك تعدي عليّ في متجسري ..

إنك

مرّة أخرى بتر عبارته ، وصرخ في ألم ، حينها حوّلت قبضة (أدهم) أنفه إلى كومة من اللحم المفسرى ، والعظام المهشمة ، وكست الدماء وجهه ، وأخذ يتف في رُعب وألم هائلين :

— ماذا تريد مني ؟ .. ماذا تريد ؟

أناه صوت (أدهم) صارماً بارداً ، وهو يقول :

— اعتراف ؟

هتف (توفيق) في ارتياح :

— اعتراف بماذا ؟

أجاب (أدهم) في صرامة :

— اعتراف باسم إمبراطور شبكة السموم هذه ، وبأنك

متورط فيها حتى أذنك ، وبأنكم قد دبرتم لشقيقى تلك الخدعة الحفيرة ، التى

وقبل أن يتم (أدهم) عبارته ، التصقت فؤوه مسدس

باردة بمؤخرة عنقه ، وسمع صوتاً خشناً جافاً يقول :

— انتهت اللعبة يا رجل .. إنك لن تحتاج إلى اعترافات ،

فهم لن يسألوك إياها فى الآخرة .

* * *

استدار (أدهم) في هدوء ، ليواجه صاحب الصوت

الحشن الجاف ، وابتسم في سخرية ، حينما وجدته ضخم

الجثة ، وقال متحكماً :

— قُلْ لى أيها الخريت ، من أين تحصلون على كل هذا

العدد من الخنازير الضخمة ؟

عقد الرجل حاجبيه في غضب ، وجذب إبرة مسدسه .
وهو يقول في جِدَّة :

— قُلْ لِي أَنْتِ أَوْلَى : لماذا أتيت إلى هنا ؟ .. ولماذا فعلت
هذا بالزعم ؟

بصق (توفيق) بعضًا من الدماء ، التي تملأ فمه ، وصاح
في خنق :

— لا تسأله أيها الغبي .. اقله .. اقله على الفور .
وفجأة ، تحركت قبضتا (أدهم) في آن واحد ، فقبضت
اليسرى على معصم الضخم ، ورفعت كفه اشيطة بمقبض
المسدس إلى أعلى ، وانقضت اليمنى على معدته كالصاعقة ..
وتأوه الضخم ، وهو يترك مسدسه ، وينشئ مسكًا بمعدته
في ألم ، فتحركت قبضتا (أدهم) مرة أخرى في سرعة ،
وأمسكت اليمنى بياقة الضخم ، واليسرى بجزامه ، ودفعه
(أدهم) في قوَّة ، فارتطمت رأس الرجل بالحائط ، وسقط
فاقد الوعي ..

واستدار (أدهم) يواجه (توفيق) ، الذي بدأ أقرب إلى
الموت منه إلى الحياة ، وسأله (أدهم) في برود صارم :

— هل ستعترف ؟

اختفت الكلمات في حلق (توفيق) لحظات ، واختلطت
بالدماء التي تسيل من أنفه وشملاً فمه ، قبل أن يغمغم :

— لن يفيدك اعترائي ، فهو غير قانوني ، و .. .
غاصت قبضة (أدهم) في معدته كالقنبلة ، فصرخ في ألم ،
ثم لوح بذراعيه ، صائحًا في ارتباك :

— حسنًا .. حسنًا .. سأعترف بكل ما تريد .
وانهار رأسه فوق صدره ، وهو يستطرد في مرارة :

— لست أعلم شيئًا عن شقيقك أو عمًا حدث له ،
وأقسم على ذلك ، أما عن الإمبراطور ، فكل ما أعلمه عنه هو
أنه أحد كبار المسئولين ، في مؤسسة (مراد غالب) ، وكل
علاقتنا لا تتعدى المحادثات الهاتفية .

سأله (أدهم) في صرامة :

— وكيف علمت أنه يتبع مؤسسة (مراد غالب) ؟ ..
مادامت علاقتكما لا تتعدى المحادثات الهاتفية ؟
أجابته في انبهار :

— لأن رقم الهاتف ، الذي أتحدث إليه ، هو رقم هاتف
مكتب (مراد غالب) الخاص .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :



ثم قفز من نافذة حجرة مكتب (توفيق) ، إلى شارع جانبي ..

— حسناً .. هذا يكفى ..

ثم هَوَّث قبضته على فكِّ (توفيق) كصاعقة ، انقلعت البقية الباقية من أسنانه ، وألقته في عالم اللاوعي ، وعدل (أدهم) هندامه في هدوء ، ثم قفز من نافذة حجرة مكتب (توفيق) ، إلى شارع جانبي ضيق ، سار إلى نهايته ، حيث تنتظره سيارته ، وبداخلها (قدرى) ، فدلف إليها ، وأدار محركها في هدوء ، على حين سأله (قدرى) في اهتمام :

— هل أوقعت به ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول في لهجة تشف عن خطورة الأمر :

— ليس بعد يا (قدرى) .. إنه مجرد ذئبة في شبكة باللغة الخطورة .

سأله (قدرى) :

— شبكة مخدرات ؟

هز (أدهم) رأسه نفيًا ، وأجاب في حسم :

— هذا ما كنا نتصوره كلنا يا (قدرى) ، ولكن الحقيقة أكثر خطورة .

وأدار رأسه إليه ، مستطردًا في صرامة :

— إنها شبكة جاسوسية يا (قدرى) .. أخطر شبكة

جاسوسية عرفتها (مصر) ..

بالشكوك أو المتاعب ، وهذا لا يتفق مع إقدامهم على ترويح
اغترادات .

هز كفتيه في هدوء ، وهو يقول :

— ربما أخطأت التسمية فحسب يا (منى) ، ولكننى لم
أخطئ فهم الأمور .. إن شبكة اغترادات التى أوقعت
بشيقى ، والتى يديرها ذلك الرجل ، (مراد غالب) ،
ليست مجرد شبكة إجرامية عملية ، وإنما هى جزء من مخطط
رهيب ، أعدته دولة مُعادية ، لتدمير شباننا ، وتحطيم عقولهم
وإرادتهم ، عن طريق نشر السُموم البيضاء بينهم ، وهذا ليس
بالأمر الجديد ، فلقد كان (الموساد) يفعل ذلك من قبل ،
وكان هذا الأسلوب هو سبب هزيمتنا فى يونيو ، عام ألف
وتسعمائة وسبعة وستين .

سأله (قدرى) فى خيرة :

— وما الذى دفعك إلى التفكير فى الأمر ، على هذا
النحو ؟

أجابته (أدهم) فى حزم :

— كلمة واحدة نطق بها ذلك الوغد (توفيق)

يا (قدرى) .. لقد أثار دهشتى فى البدء أن رجاله لم يكتفوا

٧ — الشبكة ..

« جاسوسية ..!؟ » ..

هتفت (منى) بهذه العبارة فى ذُهور ، بعد أن انضم إليها
(قدرى) و (أدهم) ، فى شقة هذا الأخير ، وأردفت
(منى) فى استنكار :

— مستحيل يا (أدهم) !! .. الجاسوسية واغترادات
لا يتفقان أبداً .

قال (أدهم) فى هدوء :

— لماذا يا عزيزتى ؟ .. إن كليهما يسعى خلف هدف
واحد ، ألا وهو تحطيم أمتنا ، ومنعها من التقدم والرقى ،
والجاسوسية تسعى إلى ذلك عن طريق كشف أسرارنا ،
أما اغترادات ، فهى تحقق نتائج أفضل ، بتحطيم شباننا ،
وإذهاب قُدراتهم وعقولهم .

أجابته فى تولُّر :

— هذا صحيح ، ولكن الجواسيس يحرصون دوماً على
البقاء خارج دائرة الشبهات ، وتحاشى كل ما من شأنه إحاطتهم

بمراقبتى فحسب ، كما كان ينبغي أن يفعلوا ، وإنما لجئنا إلى محاولة قتل على الفور ، على حين كان من المستحيل أن يلدجوا إلى ذلك بهذه السرعة ، حتى لو كنت أحد رجال مكافحة المخدرات ، خشية إثارة الشرطة كلها ضدهم ، وحينما وصلت إلى (توفيق) ، وأخبرته باسمى ، هتف فى ارتياح : « رجل المخابرات » ؟! وهنا أخذت شكوكى كلها اتجاهها جديدا ، فمهما بلغت قوة أية شبكة مخدرات ، ومهما بلغ حجم اتصالاتها بالمستولين ، فمن المستحيل أن تتوصل إلى معرفة حقيقة مهنتى ، التى يحرص الجميع على إحاطتها بالسرية التامة ، ولكن الأمر يختلف ، لو أن من يدير تلك الشبكة يتصل — على نحو أو آخر — بمخابرات دولة معادية ، مثل (الموساد) ، فهو فى هذه الحالة سيعلم من أنا ، وسيحاول إبعادى عن طريقه بأية وسيلة ، خشية أن يتسبب تدخل فى كشف هويته الحقيقية .

كان تحليله منطقيا ، مخيفا ، حتى أن (منى) غمغت فى ارتياح :
— يا إلهى !! إن الأمر — على هذا النحو الذى ذكرته — شديد الخطورة يا (أدهم) .

والفها بإجماع من رأسه ، وقال :

— لذا فلا ينبغي أن نضيع لحظة واحدة يا (منى) ..
سنبدا القتال على الفور .

أجارت إلى حجرة نومه ، وهى تقول :
— وماذا عن هؤلاء الأوغاد الخمسة ، الذين نحفظ بهم فى حجرتك ؟
أجابها فى سخرية :

— لن يضيرهم أن ينتظروا بعض الوقت ، حتى نأتى لهم بزعيمهم ، ثم إنهم أكثر بدانة مما تقتضى طبيعة عملهم القلدر ، وسيفيدهم نظام الحماية الإجبارى ، الذى سنقرضه عليهم .
ابتسمت وهى تغتمغم :
— صدقت .

نهض (قدرى) فى حماس ، وألجأ نحو باب الشقة ، وهو يقول :

— حسنا .. فلنبدا على الفور .
فتح الباب فى انفعال ، ثم تسمر فى مكانه ، حينما رأى أمامه لثة من جنود الشرطة ، يتقدمهم ضابط برتبة عقيد ، سأله فى هدوء :

— معذرة .. آلت السيد (أدهم صبرى) ؟

ارتبك (قدرى) لحظة ، وغمغم فى تردد :

— كلاً .. إن السيد (أدهم) ليس

قاطعه صوت (أدهم) من خلفه ، يقول فى حزم :

— هأنذا .. ماذا تريد يا سيادة العقيد ؟

تأمله العقيد لحظة فى هدوء ، ثم أزاح (قدرى) من

طريقه ، ودلف إلى الشقة ، يتبعه جنوده ، وهو يقول :

— العقيد (مختار صالح) ، مأمور قسم (الدقى) .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— مرحباً بك .. ماذا يمكننى أن أقدم لك ؟

جلس العقيد (مختار) على أوّل مقعد صادفه ، وهو يقول

فى هدوء :

— أين كنت صباح اليوم يا سيد (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

— هنا .

وأسرع (قدرى) يقول :

— إننا لم نفارقه منذ الصباح الباكر .

ابتسم العقيد (مختار) فى هدوء ، وهو يقول :

— عجباً !! .. إن هذا القول لا يتفق مع أقوال بواب

البنية ، الذى أكد أن السيد (أدهم صبرى) قد غادر البنية

فى الصباح الباكر ، وعاد إليها فى العاشرة ، مع زميلة له ، ثم

زاره خمسة رجال فى الحادية عشرة والنصف ، ولم ينصرفوا

حتى الآن ، على الرغم من أن السيد (أدهم) قد عاد

وانصرف فى الثانية عشرة ، ولم يُعد إلا منذ ساعة واحدة .

ارتبك (قدرى) ، وعقدت (منى) حاجبها فى قلق ، على

حين سأل (أدهم) العقيد (مختار) فى هدوء :

— ماذا تريد بالضبط يا سيادة العقيد ؟

تأمله العقيد (مختار) لحظة فى صمت ، وكأىما يحاول أن

يستشف ما يخفيه ، ثم أجاب :

— يبدو أنك قد قضيت يوماً حافلاً يا سيد (أدهم) ،

فلقد تلقينا ثلاثة بلاغات تحمل اسمك ، أوّلها من أحد ضباط

قسم الهرم ، الذى قال إنك انتحلت أمامه شخصية ضابط

بمكتب مكافحة المخدرات ، وجعلته يلقى القبض على المدعو

(رشاد عامر) ، الذى أخبره باسمك الحقيقى بعدئذ ، والآخر

من تاجر عطاراة معروف ، يُدعى (توفيق شاهين) ، قال فيه

إنك قد اعتديت عليه فى متجره ، ولديه تقرير إصابات ،

يؤكد كسر سبعة من أسنانه وضرومه ، وعشم أنفه تمامًا ،
ولديه أيضًا خمسة شهود على ما يذمعه ، والبلاغ الثالث من
شخص مجهول ، أكد فيه أنك تحتجز في منزلك خمسة رجال ،
بدون وجه حق ، وعلى الرغم منهم ، فما قولك في كل هذا ؟
توقع (قدرى) و (منى) أن ينفى (أدهم) تمامًا كل
ذلك ، وأن ينكره في شدة ، حتى أن دهشهما بلغت أوجها ،
حينما أجاب في برود :

— لست أنكر بكل هذا .

انتقلت دهشهما إلى العقيد (مختار) ، الذي لم يكن يتوقع
اعترافًا صريحًا مباشرًا ، على هذا النحو ، فغمغم وهو ينهض في
حزم وصرامة :

— في هذه الحالة لا ينبغي إلا أن ألقى القبض عليك ،

و

قاطعه (أدهم) في صرامة :

— وتجد نفسك مضطربًا لتبرير موقفك أمام الجهات

العليا .

غمغم العقيد في دهشة :

— الجهات العليا !؟

ثم استطرد في غضب :

— هل تظن أنك مستجح في خداعى بتلك الكلمات
الرئانة ؟ .. سألقى القبض عليك ، ولو كنت تعمل لحساب
رئيس الجمهورية نفسه ، فالقانون هو القانون ، ولا أحد
يملك الحق في تجاوزه ، مهما بلغ منصبه ، ومهما

قاطعه (أدهم) في جِدَّة :

— حتى ولو كان أحد ضباط المخابرات العائمة ، ويسمى
خلف أخطر شبكة جاسوسية عرفتها (مصر) في تاريخها !؟
حدِّق العقيد (مختار) في وجهه بذهول ، ثم لم يلبث أن
عقد حاجبيه في صرامة ، وهو يقول في جِدَّة :

— نعم .. حتى ولو كان كذلك ، إلى أن تلتقى ما يثبت أقواله .

قلِّب (أدهم) كفيه ، وهو يقول في استسلام :

— حسنًا .. مادمت تصرّ على ذلك .

وفجأة ، تحرك (أدهم) ، وجذب العقيد (مختار) إليه ،
ثم انتزع مسدسه ، وألصق فوهته بصدغ الأخير ، وهو يقول
لجنود الشرطة في صرامة :

— خذوا أن يأتي أحدكم حركة واحدة ، وإلا دفع قائدكم

الثلثين .

تردّد الجنود في قلق ، وتطلّعوا إلى العقيد (مختار) ، وكأنهم
يسألونه المشورة ، فقال في جِدَّة :

— إنك ترتكب جريمة عنيفة يا سيّد (أدهم) .. لن نجد
 حماميًا واحدًا يدافع عنك ، في تهمة اختطاف وتهديد رجل
 شرطة ، في أثناء تأديته عمله .
 أجاهبه (أدهم) في صرامة :
 — ليس هذا من شأنك .
 ثم صاح في وجه (منى) ، متظاهراً بتهديدها :
 — ابتعدى عن طريقي ، وإلا أطلقت عليك النار .
 أجاهبه (منى) في عناد :
 — كلّاً يا (أدهم) ، لا تحاول تبرئني .. إنني سأعمل إلى
 جانبك ، أيّا كانت العواقب ، حتى ولو كنت تعمل ضدّ
 القانون .
 ثم أخرجت مسدسها الصغير من حقيبتها ، وصوّته إلى
 رجال الشرطة ، وهي تقول في صرامة :
 — ألقوا أسلحتكم .
 تردّد رجال الشرطة لحظة ، ثم أطاعوا أمرها ، وألقوا
 أسلحتهم ، على حين قال العقيد (مختار) في خنق :
 — سيّدوى جمالك خلف القضبان يا سيّدنى ، فعقوبتك
 ستجاوز سنوات عمرك بالتأكيد .
 أجاهبه في حزم :



وفجأة ، تحرّك (أدهم) ، وجذب العقيد (مختار) إليه ، ثم انتزع
 مسدسه ، وألصق فوهته بصدغ الأخير ..

— لا تطلق بشأنى .

التفت (أدهم) إلى (قدرى) ، وقال فى حزم :

— اتصل بالإدارة يا (قدرى) ، وشرح لهم موقفنا ،
وقل لهم إننى سأقدم لهم شبكة جاسوسية كاملة ، على طبق من
فضة .

ثم التفت إلى العقيد ، مستطردًا فى صرامة :

— والآن يا سيدي .. سنهبط معًا إلى سيّارتى .. ويؤسفنى
أنك ستورط معنا ، على الرغم منك ، فى جولتنا القادمة ،
ضد القانون .

ارتفع فجأة صوت صارم ، يقول فى غضب :

— لن يحدث هذا يا (أدهم) .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ، وخفض
(أدهم) و (منى) مسدسيهما فى بضع ، على حين شخب
وجه (قدرى) ، وهو يغمغم :

— يا إلهي !!.. سيادة المدير ؟

فلم يكن ذلك الرجل الوقور ، الذى يقف أمامهم ،
والغضب يملأ كل خُلجبة من خُلجاته ، سوى مديرهم ..
مدير الخباياير العامة المصرية ..

٨ — القانون ..

لم تكن تلك الحجره ، فى مبنى وزارة الداخلية المصرية ،
تضم سوى خمسة أشخاص ..

(أدهم صبرى) ، و (منى) ، و (قدرى) ، ومدير
الخباياير العامة ، ووزير الداخلية شخصيًا ..

وكان أكثرهم ثوره هو مدير الخباياير ، الذى راح يلوح
بلدراعه فى غضب ، هاتفًا :

— ألا تدرك ماذا فعلت بعنادك يا (أدهم) ؟ .. لقد

أخرجت جهاز الخباياير كله بمخالفتك القوانين ، واعتدائك
على الحرّيات ، والاستهتار بكل القواعد .. إنك تحمل الآن
قائمة من الاتهامات تكفى لإلغائك فى السجن طيلة عمرك ..

احتجاز خمسة أشخاص بدون وجه حق ، ومهاجمة ملهى ،
والاعتداء على صاحبه ، والتعدى على تاجر عطاره معروف ،
ومقاومة رجال الشرطة ، وانتحال صفة ضابط شرطة ..
ألا تشعر بالخجل ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— بل بالفخر .

صاح مدير المخابرات في غضب واستنكار :

— الفخر؟! ..!

أجابه (أدهم) في عناد :

— نعم ياسيدى .. بالفخر ، فهؤلاء الأوغاد الخمسة

قُدموا للقتل ، وصاحب الملهى هو الذى أمرهم بذلك ، وهو

جزء من شبكة ضخمة ، تعمل على تهريب وترويج المخدرات

داخل (مصر) ، وزعيمه هو ذلك التاجر الوغد ، وكلاهما جزء

من شبكة جاسوسية خطيرة ، كما شرحت لسيداتك ، و.....

قاطعها مدير المخابرات في حنق :

— هناك قانون يحكم كل ذلك يا (أدهم) ، وليس من

حقنا تجاوزه ، ولأبنا الأمر أشبه بغابة بدائية ، تمزج فيها

الحيوانات المفترسة ، ويلتهم فيها الكبير الصغير ، والقوى

الضعيف ، و.....

قاطعها (أدهم) :

— ألا يحولنا وجود هؤلاء الأوغاد بيننا إلى ذلك ؟

أجابه وزير الداخلية في هدوء :

— كلاً يا (أدهم) ، مادنا نحرم القانون .

هتف (أدهم) في جِدَّة :

— أى قانون؟.. القانون الذى سيلقى أخى خلف

القضبان ، ويعجز في الوقت ذاته عن اقتصاص من يعثون به؟..

أم القانون الذى ترك شبكة جاسوسية كاملة تتوغل في

مجتمعا ، وتمهد شبابه ورجاله بالضياح ، عن طريق إدمان

السُّموم البيضاء القذرة ؟

عقد وزير الداخلية حاجيه ، وهو يقول في صرامة :

— ومن قال لك إننا نجهل كل هذا ؟

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطرداً في حزم :

— إن أحد الأجهزة التابعة لوزارةى ، هو جهاز مباحث

أمن الدولة . ومهمته هذا الجهاز هى حماية الأمن الداخلى

للبلاد ، كما أن مهمته المخابرات العامة هى درء المخاطر الخارجية

عنه ، ورجال مباحث أمن الدولة يراقبون تلك الشبكة منذ

ثلاثة أشهر . بعد أن كشفت تحرياتهم كَثْرَها شبكة

جاسوسية ، ولكن حتى هذا يخضع للقانون أيا المتقدم ،

ولا يمكننا إلقاء القبض على أى مواطن مصرى . بتهمة

التجسس لحساب دولة أخرى ، إلا بوجود أدلة وبراهين

قوّة ، وليس بأسلوب العنف العشوائى الذى تتبعه ، والذى
كاد يفسد كل مانسى إليه منذ فترة طويلة .

تطلعت (منى) إلى وزير الداخلية فى دهشة ، وشعر
(قدرى) بالخجل ، على حين غمغم (أدهم) :

— لم أكن أعلم هذا .

صاح به مدير المخابرات فى خنق :

— ولم يكن من المفروض أن تعلمه .. إنك تحمل رتبة
رسمية ، وهذا يلزمك بطاعة الأوامر ، واحترام القوانين ،
ولكنك تتصرف ذوّماً كما لو كنت جواذا جامحاً ، بلا قيود أو
التزامات .

هتف (أدهم) فى توأر :

— إننى أحاول إنقاذ شقيقى ياسيدى .

صاح مدير المخابرات فى غضب :

— ليس بهذه الوسيلة .. ليس بمخالفة القانون .

اتسم وزير الداخلية ، وهو يقول فى هدوء :

— هناك وسيلة قانونية بالتأكيد .

ثم مال نحو (أدهم) مستطرداً :

— وسيلة تحقّق لك كل مانسى إليه .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

— كيف ؟

اعتدل وزير الداخلية ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ،
وهو يتسم ، قائلاً :

— لقد أخبرنى السيد اللواء مدير المخابرات الكثير ، عن
قدراتك ومهاراتك المذهلة أيها المقدم ، وعن تاريخك الحافل فى
محاكمة الجريمة وأجهزة المخابرات المعادية ، ولقد أثار هذا
اهتمامى وإعجابى ، ولكننى أتفق مع السيد اللواء فى ضرورة
اعتيادك طاعة الأوامر ، حتى تصبح رجلاً فذاً بحق .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— وتراودنى الآن فكرة جنونية ، لو وافقنى عليها
مديرك ، فستكون هناك فرصة لإسقاط كل الاتهامات عنك
والإفادة منك ومن قدراتك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— ماهى ؟

التفت وزير الداخلية إلى مدير المخابرات ، وقال فى
هدوء :

— هل توافق على انتداب المقدم (أدهم صبرى) لمدة شهر
واحد ، من المخابرات العامة إلى وزارة الداخلية .

التقى حاجبا مدير اخبارات ، وهو يتمم في خدر :
— لست أمانع ، مادمت ترغب في ذلك .

ابتسم وزير الداخلية ، وقال :

— سأصدر قرارا بذلك ، بتاريخ أمس ، وهكذا يكون كل ما فعله المقدم (أدهم صبرى) طوال اليوم قانونيا ، كجزء من خطة للإيقاع بشبكة الجاسوسية والتخدرات ، وسنسد إليه العملية بأكملها .

تتهددت (منى) في ارتياح ، وتمهلت أسارير (قدرى) ،
على حين تألفت عينا (أدهم) ، وهو يقول :

— هذا يسعدنى ياسيدى الوزير .

أسرعت (منى) تهتف :

— أيمكن انتدائى أيضا ؟ .. إننا نعمل كفريق متكامل ،

و

تضج وجهها بخمرة الخجل ، وبرتت عبارتها في حياء ،
فأطلق وزير الداخلية ضحكة صافية ، وقال :

— نعم .. يمكن انتدائك أيضا ، فلن أفرق فريقا متكاملًا .
اختلط حياؤها بفرحتها ، وهى تهتف :

— شكرا لك ياسيدى الوزير .. شكرا لك .

سأله (أدهم) فجأة :

— وماذا عن شقيقى ؟

هز وزير الداخلية كتفيه ، وقال :

— لن يتغير أى شىء بشأنه ، فأى إجراء استثنائى بالنسبة إليه ، سيثير العديد من الشكوك والساؤلات ، وقد يفسد حطتنا تماما ، ولكن نجاحك في هذه المهمة سيغير الأوضاع بالتأكيد ، وسيعيد الأمور إلى نصابها ، بعد إثبات براءته .
نهض (أدهم) ، وصافح وزير الداخلية في حرارة ، وهو يقول :

— كيف يمكننى أن أشكرك ياسيدى ؟

صافحه الوزير ، وهو يتسم قائلا :

— بأن تم العملية على خير وجه أيها المقدم .

ثم استدرك في حزم :

— في حدود القانون .. هذا هو الأهم .

واكتسى وجهه بالجدية ، وهو يستطرد :

— وتذكر دوماً أن العمل معنا يختلف كثيرا عن العمل في
التخبرات العامة ، فهناك لا تحتاج إلى أدلة أو براهين ، أو حتى
إلى إطار محدود للعمل ؛ إذ يكفي أن تم مهمتك على أى وجه
كان ، إذ أنك تعمل دوماً ضد قانون الدولة التى تقايل فيها ،

أما معنا ، فلا يمكنك أن تحقق نجاحا ، دون الالتزام بالقانون ،
فبعد انتهاء عملك يبدأ عمل القضاء ، الذى يحتاج لإصدار
حكم بالإدانة ، إلى أدلة قوية ، وبراهين واضحة ،
أو اعترافات صريحة مؤكدة ، تتم دون إجبار أو غش .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— سأذكر ذلك ياسيدى الوزير ..

ظّل مدير المخابرات صامتا ، حتى غادر (أدهم)
(وقدرى) و(منى) مكتب وزير الداخلية ، ثم سأله :

— أتظن أنك ستفيد منه حقًا ياسيدى الوزير ؟

أوما وزير الداخلية برأسه إيجابًا ، وقال :

— بالتأكيد ، فهو جواد جامع كما وصفته ، وإلقائنا القبض
عليه يهدر طاقته ، ويُفقدنا كفاءة عالية ، ثم إنه لو كان بالبراعة
المذهلة التى ذكرتها ، فلن يستسلم لنا ، وسيجد وسيلة للفرار
منّا ، ومواصلة قتاله بكل عناد وإصرار ، أى أن النتيجة واحدة
في الحالتين ، مع فارق واحد الآن .. فارق جوهري .

وابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يُؤدب في ثقة :

— إنه لم يُعدّ يعمل ضد القانون .

٩ - الخطة ..

هتفت (منى) في سعادة جمّة ، وهى تجلس إلى جوار
(أدهم) في سيارته :

— يا إلهى !! من كان يتوقّع هذا ؟.. ماشعورك الآن

يا (أدهم) ؟

اكتسى صوته برنة حزن عجيبة ، وهو يغمغم :

— شعور بالغرّة .

سأله (قدرى) في دهشة ، عن المقعد الخلفى :

— آية غرّة يا (أدهم) ؟.. إنك تعمل في وطنك هذه

المرة ..

حمل صوت (أدهم) نفس رنة الحزن العجيبة ، وهو يقول :

— وهذا ما يُدهشنى يا (قدرى) .. لقد اعتدت أن

أعمل دائمًا في بلدان أجنبية ، لا ألتزم فيها بأية قواعد أو

قوانين ، وأصبح هذا جزءًا من نفسى ، حتى أنتى أشعر الآن

بغرّة شديدة ؛ لأننى أعمل داخل (مصر) ، ولأننى أقابل

أناسًا يتحدثون لغتى ، ويعيشون في موطنى .

غمغمت (منى) :

— إنهم لا يستحقّون ذلك .

غمغم في خفوت :

— ولكنهم كذلك بالفعل .

وان الصمت على ثلاثهم طويلاً ، ثم قالت (منى) :

— إلى أين نتجه الآن ؟

أجابها في هدوء :

— إلى مؤسسة (مراد غالب) .

هتفت في استكثار :

— ولكن هذا يخالف الخطة .

ابتسم ، وهو يجيب في هدوء :

— لا مانع من الاعتراف عن القواعد قليلاً يا عزيزتي .. أليس

كذلك ؟

وجلجلت ضحكته الساخرة داخل السيارة ، لتعلن بدء

جولة جديدة من الصراع ..

استقبل (خالد رشوان) ، مدير مكتب (مراد غالب) ،

(أدهم) و (منى) في هدوء ، ودعاهما للجلوس ، وهو

يسألهما في لهجة مهذبة :

— لماذا ترغبان في مقابلة (مراد) بك ؟ .. ألدیکما موعد

سابق ؟

أجابه (أدهم) في برود :

— كلاً .. ليس لدينا موعد سابق ، ولكننا نريد مقابله

لأمر عاجل ، وبالغ الأهمية .

ابتسم (خالد) ، وهو يقول في هدوء :

— هل يمكنني معرفة ذلك الأمر العاجل ؟

أجابه (أدهم) في حزم :

— كلاً .. إنه أمر شخصي .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— إنني مدير مكتبة ، ومن حقّي أن

قاطعته (أدهم) في صرامة :

— كلاً .. ليس هذا من حقك .

هتف (خالد) في غضب :

— ألا يمكنك أن تجيب عن أى سؤال بعبارة أخرى ،

سوى كلمة (كلاً) هذه ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— بلى .. هل تُرُوق لك هذه الإجابة ؟

خدّجه (خالد) بنظرة قاسية ، ثم ضغط زرّ جهاز الاتصال

الداخلي ، المثبّت فوق مكتبه ، وقال في عصيّة :

— كلاً .. إنها لا تُرُوق لي .

قال (أدهم) في سخرية :

— عجبًا !! لقد استخدمت نفس الكلمة ، التي ترفضها .
رمقه (خالد) بنظرة ساخطة ، ثم التقط من درج مكتبه
رشاشة صغيرة ، تحمل اسم أحد المبيدات الحشرية الشهيرة ،
وهو يقول :

— معذرة .. هل تضايقكم رائحة هذا المبيد ؟ .. هناك
حشرة لعينة تؤرقتى هنا .

ثم بهض من خلف مكتبه ، وهو يحدق في نقطة ما ، مغممًا
في خنق :

— حشرة مزعجة .

في نفس اللحظة دلف رجل متين البنيان إلى الحجره ، وقال
وهو يخلط النظر إلى (أدهم) و (منى) :

— هل طلبتى يا (خالد) بك ؟

أجابه (خالد) ، دون أن يلتفت إليه :

— نعم .. انتظر قليلاً .

قال (أدهم) في جدّة :

— لن ننتظر نحن ، فسأقابل مديرك الآن ، سواء شئت أم
آبيت .

ارتسمت على شففى (خالد) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ثم بهض من خلف مكتبه ، وهو يحدق في نقطة ما ، مغممًا في خنق :

— ومن قال لك إننى أرفض ؟.. هو أيضا يتحرَّق شوقاً لرؤيتك .

وفجأة ، أدار الرشاشة نحو وجه (أدهم) ، ودفع رذاذ السائل فى أنفه وعينيه ، وتصاعدت رائحة مخدِّر قوى ، مع صوت (خالد) ، وهو يتف فى شماته :

— ولقتلك .
— أسرع (منى) تنتزع مسدسها الصغير من حقيبتها ، وقفز (أدهم) نحو (خالد) ، وهو يتف فى غضب :

— أيا الوغد .
وقفز (خالد) إلى الوراء ، وهو يتف :

— أوقفوه .
وفجأة ، اندفع من الباب رجلان ، انضمَّا إلى (خالد) والرجل الآخر ، وهاجم الأربعة (أدهم) و (منى) فى شراسة .. شراسة وحشية ..

على الرغم من رائحة المخدِّر القويَّة ، التى تصاعدت إلى رأس (أدهم) ، تحرك فى خفية ، ولكم (خالد) فى أنفه لكمة قويَّة ، ثم استدار يواجه الرجال الثلاثة الآخرين ، ولكن أحدهم لكمة لكمة قويَّة فى معدته ، واندفع الثانى نحو (منى) ، التى ركضته فى

معدته فى قوَّة ، ثم دارت على غيبتها لتلكمه فى أنفه ، وهى يتف :
— قاوم يا (أدهم) .. إنهم أربعة رجال فحسب .

قاوم (أدهم) بكل ما يملك من قوَّة وإرادة ، ولكم رجلاً ثانياً فى أنفه ، ولكن الرجل استعاد توازنه فى سرعة ، وكان لـ (أدهم) لكمتين قويتين فى فكِّه ، اشتراكاً مع مفعول المخدِّر القوى ، فألقيا (أدهم) أرضاً ، ولكنه قاوم لينهض ، ويواصل القتال ، إلا أن لكمة ثالثة على مؤخره عبقه أفقدته وغيه تماماً .. وصرخت (منى) فى جزع حين رأت (أدهم) يسقط فاقد الوعى وسط هؤلاء الوحوش ، وقالت فى شراسة ، ولكن الرجال الثلاثة أحاطوا بها ، وأوقعوها أرضاً ، ثم اندفع (خالد) نحوها ، ودفع رذاذ السائل فى وجهها ، فحاولت أن تجس أنفاسها ، إلا أن رائحة المخدِّر القويَّة اخترقت أنفها ، وتسَلَّت إلى عقلها ، فأحاط بها ظلام عنيف ، وسقطت فى غيبوبة عميقة ..

وارتسمت ابتسامة متشفية على وجه (خالد) ، وهو يعتدل ، قائلاً :

— لقد سقطت أخيراً ، وفى وطنك أيا الشيطان المصرى .
ارتفع فى تلك اللحظة أزيز جهاز الاتصال الداخلى على مكتبه ، فأسرع إليه ، وقال فى هدوء :

١٠ - السقوط ..

شعر (قدرى) بمزيج من التوتر والقلق ، وهو يجلس خلف مفقود سيارة (أدهم) ، أمام مبنى شركة (مراد غالب) للمقاولات ، حينما مضى وقت طويل ، منذ صعد (أدهم) و (منى) لمقابلة الرجل ، وأخذ يغمغم فى عصبية :

— يالك من مكابر عنيد يا (أدهم صبرى) !.. ألا يمكنك أن تلتزم أبداً بأية لحظة ؟ .. أمن الضرورى أن تتخلى دوماً عن كل القواعد ؟

زفر فى توتر ، وتطلع إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الحادية عشرة مساءً ، ثم عاد يراقب مدخل الشركة ، وهو يغمغم :

— لقد كان يؤمًا حافلًا بحق .. من يصدق أن كل هذه المعركة قد بدأت صباح اليوم فحسب ؟

تعلق بصره بسيارة كبيرة ، توقفت أمام مبنى الشركة ، وهبط منها أربعة رجال ، تغيبوا داخل الشركة لحظات ، ثم عادوا يحملون صندوقين كبيرين ، وضعوهما داخل السيارة ،

— هل تطلبنى يا (مراد) بك ؟
أتاه صوت (مراد غالب) عبر جهاز الاتصال ، وهو يسأله فى قلق :

— ماذا يحدث عندك ؟ .. إننى أسمع جلبة شديدة .
ابتسم (خالد) ، وألقى نظرة على جسدى (أدهم) و (منى) ، وهو يقول :

— لا تقلق نفسك يا (مراد) بك .. إنهما حشرتان ، أمكننا القضاء عليهما .

هتف (مراد) فى دهشة :

— حشرتان ؟! .. كل هذه الجلبة من أجل حشرتين ؟
حملت ابتسامة (خالد) قدراً كبيراً من السخرية والتشقى ، وهو يجيب :

— نعم يا (مراد) بك .. ولكن كل شىء قد انتهى .. لن تحدث أية جلبة بعد الآن .

ثم أنهى الاتصال ، واتسعت ابتسامته ، وهو يُزِدُف :

— لقد لُكِّست راية (أدهم صبرى) إلى الأبد .
وأطلق ضحكة ساخرة عالية ..
ضحكة إمبراطور شبكة المخدرات والجاسوسية ..

ثم انطلقوا بها في سرعة ، فأسرع يدير محرك سيارته (أدهم) ،
وهو يتف في توتر :

— فلتقطع ذراعى ، لو لم يكن جسدا (أدهم) و (منى)
داخل هذين الصندوقين .

وانطلق خلف السيارة ، وهو يستطرد في انفعال شديد :
— أدعو الله (سبحانه وتعالى) ألا يكونا جثتين هامدتين .
ملأت الفكرة قلبه بالفزع ، وهو يتبع السيارة عبر شوارع
(القاهرة) ، حتى الطريق الصحراوي ، حيث انطلقت
السيارة بأقصى سرعة يسمح بها القانون ، وراح هو ينطلق في
أعقابها ، والقلق يعصف بنفسه ، حتى توقفت السيارة على بعد
خمسين كيلومترا من (القاهرة) ، أمام واحدة من الاستراحات ،
التي تنتشر على طول الطريق الصحراوي ، فأوقف
سيارته بذوره ، وأطفأ أنوارها ، وتابع بصره الرجال
الأربعة ، الذين نقلوا الصندوقين إلى داخل الاستراحة ،
فغمغم في توتر :

— حسنا .. هذا فال جيد ، فلو أنهم قتلوا (أدهم)
و (منى) ، لبادروا بدفن الصندوقين ، بدلا من نقلهما إلى
الاستراحة .

خامره في تلك اللحظة شعور بالحنق الشديد ، لأنه
لا يحمل سلاحا ، فغادر السيارة ، وفتح حقيبة الخلفية ،
والنقط منها الرافع المعدني ، وهو يغمغم :
— أعتقد أنه سلاح كاف .

ثم اتجه في خفة تتعارض مع بدائنه المفرطة ، نحو
الاستراحة ، ودار حولها في حذر ، حتى رأى الضوء ينبعث من
الخزائن الخلفية لها ، فألصق أذنه ببابه ، وسمع صوت أحد
الرجال الأربعة يقول في خشونة :

— قيدهما إلى هذين العمودين ، كما أمر الإمبراطور ،
حتى يأتي بنفسه ، ويصدر أوامره بشأنهما .

غمغم (قدرى) في ارتياح :

— هذا الله .. إنها ما زالوا على قيد الحياة .

ثم اعتدل مستطرذا في صوت خافت :

— وقواعد الصداقة تقتضى أن أحاول إبقاءهما على هذا
الوضع .

تنهد في حنق ، وعاد يغمغم في توتر :

— ماذا كنت ستفعل يا صديقى (أدهم) ، لو كنت

مكاني ؟ .. أراهن أنك كنت ستقتحم المكان بأكبر ضجة

ممكنة ، وتخطم وجوه هؤلاء الأوغاد الأربعة ، قبل أن يدرك أحدهم ما حدث .

وتحس كُرْه الضخمة ، قبل أن يستطرد في خنق :
— ولو أنني اتبعت نصيحتك ، فيما يختص بضرورة إنقاص وزني ، لكان هناك أمل في أن أخذَ خَدُوك .

ثم انعقد حاجباه في صرامة ، وهو يُزِد في خزم :
— ولكنني لن أتخلّى عنك يا صديقي .. لن أتخلّى عنك أو عن (مني) .

وبحماس شديد ، اندفع نحو باب الخزن ، وهو يصرخ :
— إنني قادم يا (أدهم) .. قادم يا (مني) .
واقترح الخزن في ضجة هائلة ، ما كان (أدهم) ليحدث مثلها قط ..

* * *

استعاد (أدهم) وعيه في تلك اللحظة ، وانتابه دهشة عارمة ، وحُيِّل إليه أنه يهدى ، حينما رأى (قدرى) يقتحم الخزن كخريت ضخمة ، وهو يطلق صرخة قوية ، فينهار باب الخزن تحت ثقله ، ويلتفت إليه الرجال الأربعة في دهشة وتحفز . وَيَشْهَرُونَ مسدساتهم في وجهه ..

وتضاعفت دهشة (أدهم) ، عندما رأى (قدرى) يدور في حِفْة ، بدت مستحيلة بالنسبة لحجمه الضخم ، ونهوى على رأس أول الرجال يرافع السيارة المعدني ، ثم يدفعه في معدة الثاني ، وينتزع في سرعة ، ليطيح بمسدس الثالث ، قبل أن يضربه به في فكّه ، فيلقيه أرضاً ، ويستدير لمواجهة الرابع ، الذي صرخ في غضب :

— أيها الحقير .. إنني سأقتلك قبل أن

ولكن (قدرى) هوى بالرافع المعدني على معصم الرجل ، الذي صرخ في ألم ، وتدلت كفه المخطمة أمامه ، قبل أن يعاجله (قدرى) بضربة أخرى على رأسه ، فيسقطه كجوال من القمامة ..

وهتف (أدهم) في مزيج من الدهشة والفرح :

— رائع يا صديقي البدين .. لقد بدؤت في نظري أكثر رشاقة من الغزلان ، وأنت تطيح بهؤلاء الأوغاد عن يمينك ويسارك .

حدق (قدرى) في وجه (أدهم) بدهشة ، ثم نقل بصره إلى الرجال الأربعة ، الذين تناثروا حوله ، قبل أن تتهلل أساريه ، ويهتف في سعادة ودهشة :

— لقد فعلتها !! هل تصدق هذا يا (أدهم) ؟ .. لقد هزمت وحدي أربعة رجال .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد كنت رائعًا يا صديقي .. هيا حلّ وثاقى ، لنحتفل معًا بتلك المناسبة الرائعة .

ألقى (قدرى) رافع السيارة جانبًا ، وأسرع نحو (أدهم) ، وهو يهتف :

— هل رأيت يا صديقي ؟ .. لقد فعلتها مثلك تمامًا .. إنك

لن تسخر من بدائتى بعد ذلك .. أليس كذلك ؟

قاطعته صوت صارم ، يقول فى سخرية :

— اطمئن .. إنه لن يجد الوقت لذلك .

تسخر (قدرى) فى مكانه ، وعقد (أدهم) حاجبيه فى

ضيق ، والتفت (قدرى) خلفه فى هدوء ، ثم ملأ اليأس

والغضب قلبه دفعة واحدة ، فأمامه كان يقف (خالد

رشوان) ، وحوله ستة من رجاله ، والجميع يصوبون

مسدساتهم إليه ، وإلى (أدهم) ..

تأوّمت (منى) فى ضعف ، وهى تستعيد وعيها ،

وغمغمت فى ألم :

— أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟

لم تكذب تفتح عينيها ، حتى اتسعت فى دُعرٍ ودهشة ، حينما

رأت (أدهم) إلى جوارها ، مقيدًا فى إحكام إلى قائم خشبيّ

متين ، وأمامهما يقف (خالد) ، مبتسمًا فى سخرية وشماتة ،

ورجاله يقيدون (قدرى) إلى قائم مجاور ، وكشفت فى تلك

اللحظة أنها أيضًا مقيدة فى إحكام إلى قائم مماثل ، وسمعت

(خالد) يقول فى سخرية :

— أنت هنا مؤقتًا يا عزيزتى ، ولكن إقامتك لن تستغرق

طويلاً للأسف ، فسنرسلك مع زميليك إلى الدار الآخرة بعد

قليل .

عقدت حاجبها فى غضب ، وهى تقول فى حدة :

— إننا سنذهب إلى اللجنة على الأقل أيها الوغد .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وقال :

— نعم .. إلى جنة الأغبياء .

أجاب (أدهم) فى سخرية :

— ستكون أفضل بالتأكيد من جحيم الأوغاد ، الذى

سنذهب أنت إليه .

هزّ (خالد) كتفيه ، وهو يقول فى سخرية :

— لا بأس ، مادمت سأنعم بحياتي هنا ، دون أدنى إزعاج منكم .

قال (أدهم) في سخرية :

— ومن خدعك بهذا القول ؟ .. هل تظن أنهم لا يعلمون حقيقة عملك ؟ .

هز كفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— ليس المهم أن يعلموا .. المهم أن يجدوا الدليل .

وابتسم في سخرية ، مستطردًا :

— هذا هو القانون .. أليس كذلك ؟

أجابته (أدهم) في برود :

— بلَى ، ولكنني أخشى أنك لا تعلم حقيقة ما تفعله

بالضبط ، فالرجل الذي يتزعمك ليس مجرد تاجر مخدرات ،

بل هو جاسوس .. جاسوس خطير .

غمغم (خالد) في سخرية :

— ومن هو هذا الذي يتزعمني ؟

أجابته (أدهم) بابتسامة ساخرة :

— (مراد) .. (مراد غالب) .

أطلق (خالد) ضحكة عالية مُجَلِّجَةً ، قبل أن يقول :

— بل أنت الذي لا يعلم شيئاً أيها الشيطان المصرى .. إن

(مراد غالب) لا يدري شيئاً مما يحدث في شركاته .. إننى أنا الإمبراطور ..

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— أنت ؟! ..

ثم تألقت عيناه ، وهو يستطرد في خنق :

— يا إلهى ! .. كان ينبغي أن أستنج ذلك منذ البداية ،

فلقد كانت الحقبة مرسلة إلى (مراد غالب) ، وليس من

المنطقي أن يغامر باستخدام اسمه في عملية مشبوهة ، لو أنه هو

الزعيم الحقيقي لكل هذا .. إنك مدير مكتبه ، ومن الطبيعي أن

تسلم الحقبة بدلاً منه ، بحجة تسليمها إليه ، ثم لا يعلم هو أى

شئ عنها بعد ذلك .

ابتسم (خالد) في سخرية ، وهو يقول :

— استنتاج متأخر أيها الشيطان المصرى .. جاء بعد فوات

الأوان .

هتف (أدهم) في غضب :

— ولكنه يفتنى أنك الزعيم الحقيقي لأخطر شبكة

جاسوسية عرفتها (مصر) .

ابتسم (خالد) في زهو ، وهو يقول :

١١ - رجل المستحيل .. سابقاً ..

تفجرت تلك المفاجأة ، في قلوب (أدهم) و (منى)
و (قدرى) كالقنبلة ، وأتسعت لها عينا (قدرى) في
ذُهور ، وشُحِب لها وجه (منى) ، على حين انعقد حاجبا
(أدهم) في غضب ، وهو يقول في بظء :

— كيف أمكنت أن تخدع الجميع هنا ؟

أجابه (إيلي كوهين) بالعبثية في سخريه :

— لقد كان الأمر سهلاً ، فـ (خالد رشوان) شخصية
حقيقية ، وهو مدير مكتب (مراد غالب) بالفعل ، ولقد
التقى به أحد رجالنا ، في أثناء رحلته إلى (فرنسا) منذ خمس
سنوات ، وأثار انتباهه شدة التشابه بيننا ، فقمنا بمرافته لمدة
عام كامل ، ثم أجريت أنا جراحة تجميل بارعة ، فصرت نسخة
طبق الأصل منه ، وقضيت هذا العام في التدرُّب على التحدُّث
والتصرف بلهجته وصوته وأسلوبه ، وبعدها قتلناه .

— هذا التعبير يملؤني زهُواً يا سيّد (أدهم) .

قلّب (أدهم) شفّته في الأذراء ، وهو يقول :

— يا للحقارة !!.. كيف تفخر بمخانتك لدولتك ؟

هزّ (خالد) كتفيه ، وهو يقول :

— أخطأت هذه المرّة أيضاً ، فأنا لم أُحْن دولتي أبداً ، بل

أعمل طوال الوقت من أجلها .

اتسعت عينا (منى) في ذُعر ، وغمغم (أدهم) في جِدّة :

— هل تغني أنك ؟

اعتدل (خالد) ، وهو يقول في فُخر :

— نعم يا سيّد (أدهم) .. إنني لست مصرياً .

ثم تحوّل حديثه فجأة إلى اللغة العبثية ، وهو يستطرد

مزهُواً :

— إن اسمي الحقيقي هو (إيلي) .. (إيلي كوهين) .. أحد

أبرع ضباط مخابرات وطني .. (الموساد) ..

صمت عند تلك النقطة ؛ ليشعل سيجارته ، وينفث
دُخانها في الهواء ، قبل أن يستطرد :

— قتلناه في (روما) ، وعُدت إلى (القاهرة) بدلًا منه ،
وبجواز سفره وأوراقه ، وأصبحت أحمل اسمه ، وأملك عمله
وعلاقاته ، ومن هذا المنطلق ، بدأنا تكوين شبكة المخدرات .
وابتسم في سخرية ، وهو يُزردف :

— وسيد هشك عدد من يتعاطون تلك المخدرات في بلدك
أيها الشيطان المصري .. إن الواحد منهم يتحوّل تدريجيًا إلى
مدمن ، لا يمكنه التخلّي عن المخدّر ، وهنا يقع في قبضتنا ..
ويكون لديه الاستعداد الكامل لعمل أى شيء ، في مقابل
الحصول على جرعة المخدّر .. هل تفهم أيها المصري .. أى
شيء ..

غمغم (أدهم) في غضب :

— أنت حيوان حقير يا (إيلي كوهين) .

أطلق (إيلي) ضحكة ساخرة ، وقال :

— بل رجل مخابرات ناجح أيها المصري .

قال (أدهم) في صرامة :

— إنك تستحق القتل .

هزّ (إيلي) كتفيه في استهتار ، وقال :

— دع هذا القول لعريك ياسيد (أدهم) ، فساعاتك في
هذا العالم أصبحت محدودة .

غمغم (أدهم) ، وهو يستنى لحلّ قيوده في خدّر :

— مَنْ يلدري ؟

أجابته (إيلي) في سخرية :

— أنا .

ثم نفث دُخان سيجارته مرّة أخرى ، قبل أن يُزردف :

— إن كل شيء أفعله قانونيًّا تمامًا ياسيد (أدهم) ، على

الرغم من أن كل أفعالي ضد القانون ، وحتى تلك المسدّسات

التي أحملها ، والتي يحملها رجالى ، مرخصة رسميًا ، فهم

— طبقًا للأوراق القانونية — حراس أمن في الشركة .

ثم التقط من جيبه مسدّسًا مزوّدًا بكاتم للصوت ، وهو

يقول :

— لذا فسأطلق بهذا .

تألّقت عيناه (أدهم) ببريق عجيب ، وهو يقول في

هدوء :

— إنه مسدّسى .

أوماً (إيلي) برأسه إيجاناً ، وهو يقول :

— هذا صحيح .. لقد أخذته منك ، بعد أن أفقدتك
وعيك في الشركة .

حاول (أدهم) أن يحل قيوده في سرعة ، وهو يقول ،
محاولاً إضاعة المزيد من الوقت :

— هل ترغب في تتويج قذارائك بقتل ؟
مطأً (إيلي) شفنيه ، وهو يقول :

— ولم لا ؟ .. إن أعظم نصر يحرز ضابط من (الموساد) ،
هو أن يقتل الشيطان المصريّ (أدهم صبرى) .

قال (أدهم) في برود :

— هل تعمّدت أن تُوقع بأخى ؟
هزأً (إيلي) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— كلاً .. لقد حدث ذلك بالمصادفة ، فزميلي (هانز فير)
اختار شقيقك ؛ لأنه كان الوحيد المسافر إلى (القاهرة)
فحسب ؛ لأن (هانز فير) أحد العاملين الجدد في (الموساد) ،
وهو لا يعلم علاقتك بالدكتور (أحمد صبرى) .

ابتسم (أدهم) ، على نحو أدهش الجميع ، وهو يقول في
هدوء :



ثم التفت من جيبه مسدسًا مزوّذاً بكاتم للصوت ، وهو يقول :

— لذا فسأقتلك بهذا ..

— إذن فأنت تعترف بأن شقيقى لم يكن يعلم شيئاً عن
محتويات الحقيبة .

أطلق (إيل) ضحكة ساخرة ، وقال :

— بالطبع .. هل تسعى لانتزاع اعتراف أخير منى ؛ لهدأ
قلبك قبل مصرعك ؟

أجابته (أدهم) فى ازدراء :

— إننى لا أخشى الموت أيها الحقيقى ، ولم أفقد ثقى من
براءة الدكتور (أحمد) لحظة واحدة .

رفع (إيل) مسدس (أدهم) نحو رأس هذا الأخير ،
وهو يقول :

— حسناً أيها الشيطان المصرى ، مادمت لا تخشى
الموت ، فلم لا تلتقى به الآن ؟

ابتسم (أدهم) فى سخريه ، وهو يقول :

— بكل سرور أيها الوغد .

استعت عينا (منى) فى دُعر ، وشحَب وجهه (قدرى) فى
شُبدة ، حينما صَوَّب (إيل) المسدس نحو جبهة (أدهم) تماماً ،

وهو يقول فى حزم :

— لا بأس .. وداغاً إذن أيها الشيطان المصرى .. بلغ
تحياى إلى الجميع ، فى جنة الأغبياء .

ثم أطلق النار ..

وصرخت (منى) فى رُغب وألم وارتباغ ، وشهق
(قدرى) فى جزع هائل ، حينما تفجرت بقعة كبيرة من الدماء
فى منتصف جبهة (أدهم) ، وجمحت عيناه لحظة ، ثم تهاوى
رأسه على صدره ، وأطلق (إيل) ضحكة ساخرة ، وهو
يتف فى ظُفر شرس :

— لقد قتله .. فليسجل التاريخ اسم (إيل كوهين) ..

الرجل الذى قتل (أدهم صبرى) .

وارتج المكان بمزيج من ضحكته الساخرة ، وصرخة

(منى) وبكاء (قدرى) الحار ..

وانتهت جولة من الصراع ..

وفقد قلب (منى) (رجل المستحيل) ..

[انتهى الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى]

[شريعة الغاب]

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل

المستحيل

سلسلة

روايات

بوليسية

لشباب

رائعة

بالأحداث

المثيرة

الخيال

العلمي

الخيال

العلمي

الخيال

العلمي

الخيال

العلمي

ضد القانون

- لماذا أطلقت الشرطة المصرية القبض على الدكتور (أحمد صبرى)، شقيق (أدهم)؟
- كيف تحول (أدهم صبرى) فجأة، من ضابط محاميات ناجح، إلى رجل يعمل ضد القانون؟
- ما سر قتال (أدهم) المستميت داخل (مصر)؟ وهل سينجح في معركته الخاصة (ضد القانون)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم : شرعية الغاب